مقدمة

في هذا العدد نصطحبك أيها القاريء الكريم في رحلة على ظهور الهجن نقطع فيها صحراء النفود بكثبانها وأفلاقها ونوازيها وعراقيبها ، ونتيح لك الاستمتاع بالسمر والمبيت في « العنة » تحت أشجار الغضا والأرطى ، مستدفئنا بوقدة النار ، لبضع ليال من ليالي الشتاء الباردة بعيداً عن رنين الهاتف ودفء المكيفات وصخب السيارات والآلات ، لتعود الى حياة الفطرة والبساطة .. حياة الآباء والأجداد .

اضافة الى هذه الرحلة الشيقة يتضمن العدد مجموعة من المقالات القيمة لمجموعة من كبار الكتاب في اللغة وفي الاقتصاد وفي التعليم وفي التربية الخاصة وقصة قصيرة وقصيدة مختارة وعرضا لبعض الكتب الواردة مؤخراً لدار الجوف للعلوم .

نأمل أن يحوز هذا العدد على اعجاب قرائنا الأعزاء .

ويسرنا في الجوبة أن نشكر الكتاب الكرام الذين أرسلوا بمقالاتهم ونعتذر عن تأخر نشر بعضها ، آملين من الكتاب الأعزاء استمرار ارسال مشاركاتهم لنتمكن من الانتقال بالجوبة الى مراحل أخرى أكثر تطوراً ان شاء الله .

والله الموفق .

أسرة التحرير

مِنْ سَكَاكَا[1] إلى جُبَّة[2] على ظُهُورِ الهِجْنِ[3]

زياد بن عبدالرحمن السديري

مقدمــة

في الربـع الأخيـر من أيـام (المربعانيه)[4] من هذا العام سرت مع ركب مشى من سكاكا إلى جبة عبر النفود على ظهور الهجن ، وعشت أياماً مضى على انتظاري لها ما يقارب عقدين من الزمان[5] . الأشيـاء التي قادتني إلى التفكير بهذه الرحلة كثيـرة ولكنها كلها ترتبط بظروف نشأتي ومحيطي وقربي من حياة البادية . فقد نشأت في الجوف في وقت كان فيه حضور البادية وأثرها على الحيـاة في هذه المنطقـة مـا يزال كبيـراً وملمـوسا ، وعشت فى كنف أب شاعـر مجلسه دائماً يعج بأهل الجوف وأحاديثه تكـاد كلها تدور حول شؤونهم وعاداتهم

(١) سكاكا أوردها ياقوت الحموي في معجم البلدان باسم سكاكه بضم السين وبكافين مفتوحتين وقال « ان سكاكه إحدى القريات التي منها دومة الجندل وعليها سور » وأورد ذكرها مرة أخرى فى مادة دومة وقال « سكاكه ....» وكذا ينطق أهلها اسمها الآن ومنهم من يبدل الهاء الف (سكاكا) » . انظر الحموي ، شهاب الدين عبدالله ياقوت ـ معجم البلدان ، (بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٠٠هـ) مج ١٠ ، ص ٢٢٩ . وقيل أن « سكاكا تعني طبقة الهواء الواقعة بين السماء والأرض وقد يعني الاسم ملتقى الطرق » انظر السديري ، عبدالرحمن بن احمد بن محمد ـ الجوف ـ وادي النفاخ ، (الجوف : مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ، مؤسسة ماكميلان للنشر ، ١٤٠٦هـ) ص ٨ . وسكاكا الآن هي أكبر مدن منطقة الجوف ومقر أمارة المنطقة .

(٢) جبة ـ بالجيم المضمومة والباء موحدة مفتوحة مشددة بعدها هاء . تكلم عنها حمد الجاسر في المعجم الجغرافي وأورد بعض ما قيل عنها في الشعر العربي . انظر الجاسر ، حمد ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية : شمال المملكة ـ حايل والجوف وتبوك وعرعر والقريات (الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ) مج ١ ، ص ٣٠٨ .

(٣) الهجن ـ لغة هجن وهجناء لغلبة البياض على ألوانها ، تستعمل الكلمة الآن بمعنى الركائب أو ركبان الإبل ، انظر ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ـ لسان العرب ، (بيروت : دار صادر ، ١٣٠٠ هـ) مج ١٣ ، ص ٤٣١ .

(٤) (المربعانيه) ـ من العامية السعودية وهي فترة في الشتاء تبدأ في ديسمبر من كل عام وتستمر ٣٩ يوماً . وفي لسان العرب (مج ٨ ص ٩٩ ـ ١١٢) « المرابيع هي الأمطار التي تجيء في أول الربيع ... ورباع معدول من أربعة .... والمرباع من النوق التي تلد في أول النتاج ... وقيل هي التي تبكر في الحمل ... والربعية ... قيل أول السنة .... والمربع الذي يورد كل وقت » .

(٥) بدأت الرحلة في يوم الأحد التاسع عشر من شهر شعبان ١٤١٦هـ الموافق العاشر من يناير ١٩٩٦م .

وقصصهم وأشعارهم . كنت معه في هذا المجلس كما كنت معه في مجالس أهل الجوف ، في قصور (٦) حاضرتهم وبيوت باديتهم ، أستمع إلى أحاديثهم وأحفظ أشعارهم وأتشرب ثقافتهم . وكانت البادية في الجوف وفي شمال الجزيرة العربية عموماً آنذاك ما تزال إلى حد بعيد في وضعها الطبيعي الأول ، أبناؤها لا يقتنون إلا الإبل ولا ينتقلون إلا على ظهورها ، يجوبون البيداء من صحراء الشام والعراق شمالاً وشرقاً إلى النفود (٧) جنوباً في هجرة سنوية مرتقبة ، ويرحلون وينزلون جماعات بأعداد قبائلهم أو أفخاذها الكبيرة (٨) . إن جاء الشتاء دخلوا النفود الذي حمته رمضاء القيظ منهم ورعوا الشجر الذي اكتمل نموه في غيابهم ووجدوا الدفء الذي هم بأمس الحاجة إليه . وإذا حل الربيع انتشروا حيثما كان العشب حتى يحين القيظ عنده يجتمعون على أحد الموارد النائية التي تكون على مقربة من هذا المرعى ، فإذا بها بين ليلة وضحاها مدينة كبيرة بيوتها من الشعر ومركز التجمع فيها قلبان الماء (٩) وسكانها في النهار كلهم من البشر وفي المساء تشاركهم فيها الإبل . أعود بذاكرتي فكأني أرى الرعايا الصفر والوضح والحمر والشعل (١٠) بأعدادها الكبيرة عصر كل يوم على مدى البصر أولها عند الماء وآخرها في أطراف الأفق ، وأتصور أهلها في استقبالها على

---

(٦) القصر عند بادية الشمال هو المسكن الثابت المشيد من الطين أو الحجر ، والبيت عندهم اسم يطلق على البناء كما يطلق على الخيمة المصنوعة من شعر أو صوف الغنم .

(٧) النفود ـ هو النفود الكبير واسمه قديما رملة عالج .

(٨) هذا الوضع السابق للبادية يختلف كثيراً عن وضعهم الحالي . فأبناء البادية الآن ، إن صح هذا التعبير ، في شمال المملكة العربية السعودية على وجه العموم يقتنون الغنم وليس الإبل ، ويرحلون وينزلون فرادى وليس جماعات أو قبائل ، ويقتنون السيارات ويستقدمون العمال لرعي ماشيتهم . كما أن الكثير منهم الآن يعتمدون بعد الله إلى حد بعيد على علف الشعير المعان أكثر من اعتمادهم على المرعى في تربية ماشيتهم .

(٩) قلبان ـ ومفردها قليب ـ البئر القديمة . (انظر ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ـ لسان العرب ، (بيروت : دار صادر ، ١٣٠٠ هـ) ، مج ١ ، ص ٦٨٩ .

(١٠) الصفر ـ جمع صفراء والمقصود الإبل ذات اللون البني الغامق .
الوضح ـ جمع وضحاء والمقصود الإبل ذات اللون الأبيض .
الحمر ـ جمع حمراء والمقصود الإبل ذات اللون الأحمر الفاتح .
الشعل ـ جمع شعلاء والمقصود الإبل ذات اللون البني الفاتح .

القرو[١١] ، وأسمع غناء الفتيات والفتيان وهم يزعبون الماء من الآبار ، وأصوات الرعاة فوق رواحلهم وهم يشايعون[١٢] بعبارات وأنغام خاصة تعرفها نوقهم ، وأشهد أهل النزل الآخرين وقد أتوا لهذا الملتقي اليومي المزدحم بضوضاء الحياة، الشيب بعباءاتهم الثقيلة يستنبئون عن المرعى وعن أبنائهم وإبلهم التى لم ترد بعد ، والشباب بشعورهم المجدولة وملابسهم المجعدة وعصيهم النحيفة الطويلة يستعرضون فتوتهم ويتبادلون الأحاديث ويسترقون النظرات ، والنساء برؤوسهن المعصوبة وثيابهن الحمراء وقدورهن القديمة يحملن الماء أو الحليب وسط جلبة الإبل وأصوات رغائها وحنينها ورزيمها وهديرها (١٣) . أعود بذاكرتي إلى هذا المشهد فكأني بالأرض عندما يحل المساء وقد تحولت إلى حقل من الأضواء الراقصة وأسمع أصوات الدحة[١٤] تتعالى فى أرجاء هذا النزل الواسع معلنة بدء عرس أو تمام طهر ، ثم عندما يتقدم الليل وتخيم الظلمة ويسود السكون الأرض عندها لا أرى إلا أجساما كالأشباح ولا أسمع إلا صوت حنين أو رزيم .

هذه الصورة التي وقفت عليها مرارا في طفولتي لم تفارقني حتى بعد أن كبرت وبدأت أدرس بعيداً عن الجوف وأمضي وقتا طويلاً في منأى عنها . فقد كنت أقضي كل إجازاتي الدراسية شتاء وصيفا في ربوع الجوف منطلقا بين بساتينها وبيدائها مرتبطاً كل الارتباط بأهلها وطبيعتها وحياتها . هكذا في ظل هذا كله ، تبلورت هواياتي ونمت اهتماماتي وتكونت هويتي . ولأن ركوب الهجن والسفر عليها كان من أهم وسائل التنقل في حياة البادية والحاضرة التي لم يتسن لي ممارستها في الماضي ، ولأن هذه

---

(١١) القرو ـ بركة الماء حيث تشرب الإبل . وفي لسان العرب (مج ١٥ ص ١٧٤) « القرو شبه حوض ممدود مستطيل الى جنب حوض ضخم يفرغ فيه من الحوض الضخم ترده الابل والغنم » .

(١٢) يشايعون ـ ينادون الإبل .

(١٣) الرغاء ـ من أصوات الإبل .
الحنين ـ صوت الناقة التي فقدت ولدها .
الرزيم ـ صوت الناقة أثناء إدرارها على ولدها .
الهدير ـ صوت فحل الإبل .

(١٤) الدحة ـ رقصة شعبية تمارسها بعض قبائل الشمال . والدح لغة هو الضرب بالكف منشورة . انظر ابن منظور ، مج ٢ ص ٤٣٣ .

المسألة كانت دائماً تبرز في كثير من القصص والقصائد القديمة التي سمعتها ، فقد اشتدت رغبتي بهذه الرحلة وتطلعت كثيراً إليها . وبعد طول انتظار وكثير من التأجيل والتبرير يأتي اهتمام بل إلحاح الشقيق والصديق ليضيف إلى الدوافع القديمة لهذه الرحلة دافعاً جديداً آخر [١٥] .

الآن وبعد أن أكملنا رحلتنا أقول إنها كانت كما كنت أتمنى لها أن تكون . فهذه الرحلة لم تعلمنا فقط كيف يكون ركوب الهجن ومشيها و (درهامها) [١٦] ومغارها [١٧] أو كيف يتم عقلها [١٨] أو قيدها [١٩] أو ما هي عدة (الشداد) [٢٠] أو كيف يكون كربه على ظهر الذلول ؟،

---

(١٥) كان للأخ الدكتور سلمان بن عبدالرحمن السديري وكيل إمارة منطقة الجوف والابن طارق بن زياد السديري دوركبير في بدء وإتمام هذه الرحلة . فالأول نشأ مثل نشأتي وله مثل اهتماماتي وخطا الخطوة الأولى عندما شرع بجمع الهجن وتجهيزها .
والثاني وإن لم ينشأ في الجوف مثلي إلا أنه زارها مرارا وأحبها كثيراً وعاش في محيط جعله على معرفة وعلى ارتباط وثيق بها وبحياة البادية حولها . كما أن طارقاً خطا الخطوة الثانية في إنفاذ هذا المشروع عندما بادر فحصل على إذن من الجامعة التي يدرس بها في أمريكا ، وهي جامعة وليامز ، للقيام بهذه الرحلة وكتابة بحث حولها - وهو ما فعله في ورقة باللغة الإنكليزية بعنوان « رحلة إلى الماضي » . وهكـذا اجتمع اهتمام الأخ سلمان والابن طارق وما قاما به من مبادرات لإعادة الحياة إلى هذه الفكرة القديمة التي طالما تحدثنا عنها . .

(١٦) الدرهام أو النومال أو الخبيب أو القريني أو القديد من العامية وهو الركض المتوسط السرعة للذلول .

(١٧) المغار أو الشعب أو البطح هو الركض السريع للذلول . والهجيج وشد الجديلة ونفض الخرج هو ما بين الدرهام والمغار . والرثمة تكون عندما تركض الذلول مثل ركض الفرس .

(١٨) عقل الذلول هو ربط يدها عندما تكون باركة - رابضة - لإعاقتها عن الوقوف والمسير .

(١٩) قيد الذلول هو ربط يدي الذلول ببعضهما بما يسمح لها بالمشي المحدود ويمنعها من الهروب .

(٢٠) الشداد للذلول مثل السرج للفرس . والشداد في هذه البلاد يصنع من خشب الاثل ويتكون مما يلي :
الغزال - الرأسان البارزان في مقدمة الشداد ومؤخرته يسمي كل منهما غزال ويتمسك الراكب بالغزال الأمامي عند الحاجة كما يستفيد من الغزالين لتعليق البندقية والناضور وغيرها من مستلزماته .
الاضلاف - الخشبتان الأماميتان والخلفيتان المفترقتان عن ظهر الذلول والجالستان على الوثر .
الدخاش - مكان التقاء الاضلاف والمصاليب .
المصاليب - الخشب الرابط بين الأظلاف الأمامية والخلفية .
القـد - الرباط المصنوع من عصب الإبل والمستعمل لتثبيت أجزاء الشداد .
البطان والحقب - رباطان عريضان مصنوعان من الوبر يثبتان الشداد على الذلول . والبطان هو الرباط الأمامي والحقب هو الرباط الخلفي .
وأهم عدة الشداد هي مايلي : -
الوثر - حقيبتان من الجلد أو الصوف أو الوبر مملوءتان بالسبط - نبات صحراوي - أو التبن توضعان بين الشداد وظهر الذلول لمنع الشداد الخشبي من ملامسة ظهرها حماية لها منه .

وإنما علمتنا فوق هذا أشياء أخرى كثيرة . فرغم أن تجربتنا هذه كانت محدودة وقصيرة ولا يمكن أن يكون تنفيذنا لها مطابقاً لما كان عليه الأقدمون، إلا أننا في هذه الأيام المعدودة قربنا منهم كثيراً وعشنا لحظات كدنا أن نحاكيهم فيها . فقد لمسنا في هذه الرحلة، بقدر قليل أو كثير القيود التي كان يتعامل معها الأولون في مثل هذه الأسفار ، وعرفنا مقاييس المسافات ومعايير الزمان التي كانوا يستعملونها ، وفهمنا بعض الاعتبارات التي كانت تدور في أذهانهم ، وسلكنا طرقهم ونزلنا منازلهم وأنشدنا قصائدهم ثم عشنا سكون الصحراء الذي لا يعرفه غيرهم . وخرجنا بعد هذا كله بمشاهدات دفعتني إلى كتابة هذه المقالة رغبة في نقل تجربتنا والإسهام في التعريف بهذا اللون من تراثنا ولفت الأنظار إلى بعض المسائل التي ربما تهم كثيراً منا . وغني عن القول أنني لن أستطيع أن أنقل إلى القارىء الصورة الكاملة لما عشناه وأحسسنا به وتعلمناه من هذه التجربة . فكما لحظ أحد رفاق الدرب فإن للعيش في البيداء خصوصية لا يحس بها ولا يقدرها إلا من جربها ، وأن هذا الإحساس لا يتحقق لمن يخرج إلى الصحراء ومطيته سيارة [٢١] . فالسيارة لا تنقل صاحبها وحده إلى البر وإنما تنقل معه كثيراً من ألوان حياة الحضر والمدن ووسائلها ، فيكون في الصحراء ظاهراً ويبقي في عالم مدينته حقيقة . وشتان بين هذا وذاك . ودون أن استبق الأمور وما سأتطرق له في ثنايا هذه الكتابة وختامها بقدر أكثر من التعليق أقول إن أبلغ ما أحسست به في هذه الرحلة هو أن أشكال التقنية الكثيرة ـ السيارة والتلفاز ومكيف الهواء والهاتف ووسائل الحفر والبناء

الوقي ـ ما يوضع بين الشداد وبين الجاعد لإراحة الراكب .

الجاعد ـ ما يجلس عليه الراكب وهو عادة من فرو الغنم .

النطع ـ زينة من الجلد أو الوبر أو الصوف تثبت على غزال الشداد وتظهر على مؤخرة الذلول . وفي لسان العرب (مج ٨ ص ٣٥٧) تنطع في الكلام .. اذا تأنق فيه وتعمق . وتنطع في شهواته : تأنق .. والنطع ما ظهر من غار الفم الأعلى ، وهي الجلدة الملتزقة بعظم الخليقاء فيها آثار كالتحزيز ، وهناك موقع اللسان في الحنك .

الميركة ـ الزينة التي تظهر على مقدمة الذلول . وفي لسان العرب (مج ١٠ ص ٥١١) « الميركة تكون بين يدي الرحل يضع الرجل رجله عليها اذا أعيا » .

السفيفة ـ الزينة التي تظهر على جانبى الذلول . وفي لسان العرب (مج ٩ ص ١٥٢) السفيفة بطان عريض يشد به الرحل ، والسفيف حزام الرحل والهودج . والسفائف ما عرض من الأغراض وقيل هي جميعها .

الخرج ـ يصنع من الصوف أو الوبر ويثبت بالغزالين ويظهر على جانبي الذلول ويستعمل كحقيبتين لحفظ مستلزمات الراكب .

القربة ـ حافظة الماء وتصنع من الجلد .

(٢١) انظر « رحلة الى الماضي » ورقة باللغة الإنكليزية من إعداد طارق بن زياد السديري قدمت لجامعة وليامز بالولايات المتحدة الامريكية في سنة ١٩٩٦م .

والتوسع وغيرها ـ كلها تساهم اليوم في إيهامنا بأننا نعيش في غير البيئة والظروف والواقع الذي يحيط بنا حقيقة ، وهي وغيرها من الأسباب التي تبدو لنا في ظاهرها مفيدة تقودنا إلى دروب ربما أننا لم نقدر أبعادها الكاملة حتى الآن .

الاستعداد للرحلة :

عندما عقدنا العزم على القيام بهذه الرحلة بدأنا أولاً بجمع الركائب والعدة اللازمة لفريقنا المكون من ثمانية أفراد [٢٢] . والمقصود بالعدة هنا هو ما يحتاجه راكب الذلول وهو الرسن و (الشداد) والميركة والنطع والسفيفة و(الجاعد) والقربة والخرج [٢٣] . الأمر بالنسبة لجمع الركائب لا يزال ميسوراً وذلك لأن البادية ـ بفضل سباقات الهجن ـ لا زالت تحتفظ بالركائب . انما لم يكن تجميع العدة بمثل هذا اليسر وذلك لأنها لا تستعمل كلها في حالات السباق ، ولأن صناعتها والاحتفاظ بها من قبل البادية أصبحت الآن من باب الهواية ليس إلا [٢٤] .

وأشد ما حرصنا عليه في اختيار ركائبنا هو حسن طباعها وهدوئها وصغر سنها وخلوها من المرض ومن أي عائق آخر [٢٥]. وأشهر سلالات الهجن السعودية هما الحرة والعمانية .

(٢٢) المشاركون في الرحلة هم سلمان بن عبدالرحمن السديري ، وطارق بن زياد السديري ، ومطلق بن راضي الجبل ، وزبن بن راضي الجبل ، ومطير بن مصول بن رمال ، وعبدالله فضل أبو علي ، وزارع محمود عويس والكاتب زياد بن عبدالرحمن السديري .

(٢٣) أنظر (٢٠) سابقاً .

(٢٤) تقيم مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ضمن برنامج أسبوع الجوف السنوي ، الذي يقام في الثلث الأخير من شهر أكتوبر من كل عام ، معرضا للسجاد تضم معروضاته عادة بعضا من هذه المواد التي تصنعها نساء منطقة الجوف .

(٢٥) من العيوب التي يحرص مشتري الذلول على تجنبها هي وجود الدبرة وهي جرح ، واللهدة وهي ورم ، واللحس وهو أقل من الدبرة، في ظهر الذلول ، حيث يوضع الشداد ، نادراً ما تشفى منها . والمشتري أيضا ، إن كان مثلنا يبحث عن مطيه للسفر ، يفضل عادة الأنثى على الذكر لأنها أهدأ طبعاً وأسهل مراساً خاصة في الشتاء عندما تهيج الذكور .

وفي العقدين الماضيين دخل البلاد سلالات أجنبية جديدة أبرزها الهجن السودانية التي تفوقت على الأخرى في السباقات القصيرة المدى [٢٦] .

ولأن ركائبنا التي اخترناها كانت مدربة فإن تهيئتها للسفر اقتصرت على تمرينها لتخفيف أوزانها . وقد احتاج هذا التمرين شهرين تقريبا ، ولو اتسع الوقت لمدة أطول لكان أفضل . فقد اتضح لبعضنا ـ وأنا أحدهم ـ أن ثقل وزن الذلول كان عنصراً مؤثراً سلباً في مقدرتها على مجاراة بقية الركائب في المسير .

ولأن عدداً منا لم يسبق له ركوب الهجن فقد خصصنا وقتا لتعلم الركوب ووجدنا هذا الأمر ، على غير ما توقعنا ، سهلا ميسرا وتم في وقت قصير نسبياً . فقد تعلمنا كل ما يلزم تعلمه في اليوم الأول وأكملنا تمريننا في اليوم الثالث عندما بدأنا رحلتنا [٢٧] . ولاشك أن حسن طباع ركائبنا وهدوئها كان له دور كبير فيما لقيناه من سهولة ومن سرعة في التعلم والتمرن على الركوب .

وبالنسبة (للزهاب) أو مؤونة السفر فقد حرصنا أن تكون قريبة من تلك التي كان يحملها المسافر على الركائب قديما مع إضافات أصر عليها بعضنا [٢٨] . ولأننا لم نصطحب معنا سيارة أو مطايا خاصة لحمل أغراضنا فقد اقتصدنا في كل شيء ، فاكتفينا عن الخيمة بمعاطف واقية عن المطر [٢٩] واقتصرنا على مالبسناه من ثياب وقللنا فراش المنام [٣٠] واجتهدنا في

---

(٢٦) ظهر تفوق الهجن السودانية في السباقات التي يكون طول مداها خمسة عشر كيلاً تقريباً ، وأهل الخبرة يقولون إن الهجن السعودية ، خاصة الحرة منها ، تستطيع أن تقطع من مئة الى مئة وخمسين كيلا في اليوم الواحد خاصة عندما تكون الظروف ملائمة .

(٢٧) أمضينا في التمرين حوالي أربعين دقيقة في اليوم الأول وحوالي ساعة ونصف في اليوم الثاني وحوالي ثلاث ساعات في اليوم الثالث ، وكان واضحا أن ذوي الوزن الخفيف واللياقة البدنية الجيدة هم الأسرع في التكيف مع متطلبات التمرين والأقل تأثراً به فيما بعد .

(٢٨) تكونت مئونة سفرنا من التمر وطحين البر وبعض اللحم المجفف ـ القفر ـ والسمن والعسل والملح وبعض الأرز والبصل والقهوة والشاي والسكر . وأخذنا قدراً صغيراً لطبخ الأرز وبعض الدلال ـ الأباريق ـ لإعداد القهوة والشاى ، وفي لسان العرب (مج ١٠ ص ٤٥٣) « زهب : أعطاه زهبا من ماله » .

(٢٩) يوجد في بعض الأسواق خيام تتسع الواحدة منها لشخص أو شخصين أو أربعة أشخاص يسهل تركيبها وحملها على ظهر الذلول .

(٣٠) لأن وقت رحلتنا كان في موسم الشتاء البارد جداً في شمال المملكة العربية السعودية فقد استعددنا له بثياب ومعاطف دافئة إضافة إلى الفروة . وحمل كل منا فراشاً مخصصا للنوم في العراء مصنوعاً من مادة مقاومة للماء ومحشوة بريش الأوز يسمى لدى الغربيين حقيبة المنام (SLEEPING BAG) ، والمعروف أن المسافر على الذلول قديما كان يكتفي بفروته ـ إن توفرت للمنام .

اختيار وسيلة نقل الماء [٣١] . وكما توقعنا فقد كفانا ما نقلناه معنا من ماء رغم إسرافنا باستعماله حتى وصلنا بئر العليم في اليوم الثالث من رحلتنا وكفانا ماء العليم حتى وصلنا جبة . كما أن ركائبنا لم تفتقد الماء أو الكلا وذلك بسبب انتشار البادية في النفود ومبادرتهم دائماً كعادتهم لتقديم كل ما يلزم المسافر الذي يمرهم [٣٢] .

بعد هذا فان أحد أهم المسائل لنجاح مثل هذه الرحلة هو وجود (الدليلة) [٣٣] القدير الذي يعرف النفود وطريقة السفر عبرها على ظهور الركائب . فالدلالة المطلوبة ليست فقط معرفة الاتجاه وأسماء المواقع وأماكنها وأقرب الطرق إليها وإنما أيضا المعرفة بطريقة قيادة الركائب عبر أفلاق و (نوازي) النفود [٣٤] . فالذلول لا تسير في النفود بطريق مستقيم وإنما

---

(٣١) نقلنا الماء في ثماني صفائح صغيرة سعة الواحدة منها ٢٠ لتراً وذلك لأننا اكتشفنا أن قربنا الجلدية الجديدة كانت ماتزال تحمل طعم الدباغ .

(٣٢) الذلول في الشتاء قادرة على تحمل العطش لمدة تزيد عن عدد أيام رحلتنا الخمس . إلا أن ركائبنا كانت معتادة على أكل الشعير وآكلة الشعير لا تصبر عن الماء طويلاً . وقد أعلفنا ركائبنا الشعير وسقيناها الماء في اليوم الثالث بعد مسارنا من أبي راسين مما جاد به مضيفنا شلاش بن جلغيف الرمالي وفي مساء اليوم الرابع مما جاد به بشير بن معزي الاشقر الصنخ وكذلك مساء اليوم الخامس عندما وصلنا جبة ، ولو أن ركائبنا لم تعتد أكل الشعير لكان هذا أفضل ولما لزم إعلافها أو سقيها أثناء الرحلة .

(٣٣) الدليلة ــ الدليل .

(٣٤) الأفلاق ــ ومفردها فلق هي المنخفضات بين كثبان النفود التي تظهر على شكل ممرات أو وديان تسير باتجاه غربي وشرقي وفي لسان العرب (مجلد ١٠ ص ٣٠٠) « الفلق هو الشق في الجبل ، والمطمئن من الأرض بين الربوتين » ، والنوازي ومفردها نازية هي من أسماء الكثيب عند أهل النفود . وفي لسان العرب (مج ١٥ ص ٣١٩ ــ ٣٢١) ينزو .. أي يقفز .. والنازية حدة الرجل المتنزي الى الشر وهي النوازي .. ونزا الطعام ينزو نزوا : علا سعره وارتفع ... والنازية قصعة قريبة القعر .. والنزاء الوثب .. وخص بعضهم به الوثب الى فوق .

تتبع العراقيب للانتقال من كثيب إلى آخر [35] . وقد أحسن رفيق دربنا ودليلنا في هذه الرحلة أداء هذه المهمة وكان كبقية الربع خير رفيق في السفر [36] .

هذا هو كل ما قمنا به استعدادا لهذه الرحلة . وإن أردت أن أصف استعدادنا بعبارة واحدة قلت البساطة في كل شيء . فالزاد والماء والعدة والملبس والفراش الذي حملناه كان بسيطاً ، والوقت الذي أمضيناه للتدريب كان قصيراً . وعموما رضينا بكل ماهو هين وبسيط من الأمور .

الرحلة :

بدأت رحلتنا عصر يوم الأحد التاسع عشر من شهر شعبان ١٤١٦هـ من لغف قارا على بعد عشرين كيلاً تقريباً جنوب مدينة سكاكا ، وأقمنا ليلتنا الأولى على مقربة من أبى راسين بعد مسير ثلاث ساعات أو نحوها [37] . وقد اخترنا أن تكون الليلة الأولى مرحلة تجريبية نختبر فيها أنفسنا وركائبنا

---

(٣٥) العراقيب ـ ومفردها عرقوب هو الامتداد الرملي الرابط بين الكثبان . وفي لسان العرب (مجلد ١ ص ٥٩٤) « عرقوب الوادي ما انحنى منه والتوى » .

(٣٦) مطير بن مصول بن رمال .

(٣٧) انطلقنا من نقطة موقعها على الخريطة شمالاً ٧٩٢ ر ٤١ ٢٩ وشرقا ٨٧١ و ٠٧ ٤٠ وسرنا ٤ر١٢ كيلاً هوائياً قبل أن ننزل لمقام المساء بالقرب من أبى راسين في موقع مكانه على الخريطة شمالاً ٢٤٩ر ٣٥ ٢٩ وشرقاً ٤٣٠ر٠٩ ٤٠ وفي يوم الاثنين سرنا ٨ ر١٠ كيلا هوائياً ثم نزلنا في موقع مكانه على الخريطة شمالاً ٦٦٩ر٢٩ ٢٩ وشرقا ٤٠٨ر ٠٧ ٤٠ وبقينا في هذا المنزل حتى ضحى اليوم التالي . وفي يوم الثلاثاء سرنا ٥ر٢٦ كيلا هوائيا ثم وقفنا للغداء فى مكان موقعه شمالاً ٨٤٧ ر ١٥ ٢٩ وشرقا ٨٤٧ ر ١١ ٤٠ ثم ٤ ر١١ كيلا هوائيا قبل أن ننزل لمقام المساء بعد أن تجاوزنا محاقين في مكان موقعه شمالاً ٤١٩ر١٠ ٢٩ وشرقا ١٩٧ر١٥ ٤٠ . وفي يوم الأربعاء سرنا ٦ر١٧ كيلاً هوائيا ووقفنا للغداء في مكان موقعه شمالاً ٨٥٣ر٠١ ٢٩ وشرقا ٩٠١ر١٩ ٤٠ ثم ٩ر١٤ كيلاً هوائيا ونزلنا لإقامة المساء بعد أن تجاوزنا الطنابية وعلى مرأى من العليم في مكان موقعه شمالاً ٥٧١ر ٥٤ ٢٨ وشرقا ٨٢٣ر٢٣ ٤٠ وفي يوم الخميس مررنا العليم الذي يقع شمالا ٨١٨ر٤٥ ٢٨ وشرقا ٤٢٥ر٢٦ ٤٠ وسرنا ١ر١٧ كيلا هوائيا ووقفنا للغداء في مكان موقعه شمالا ٧٦١ر٤٥ ٢٨ وشرقا ٠٢٢ر٢٧ ٤٠ ثم ٢٣ كيلا هوائيا ونزلنا لإقامة المساء عند الوقادية وعلى مقربة من الأثالي في مكان موقعه شمالاً ٠٦٥ ر ٣٧ ٢٨ وشرقا ٠٩٠ر٣٧ ٤٠ وفي يوم الجمعة سرنا ٦ر١٩ كيلا هوائيا ووقفنا للغداء في مكان موقعه شمالا ٦٢٠ر٢٩ ٢٨ وشرقا ٦٣٣ ر٤٥ ٤٠ ثم ١٣ كيلا هوائيا ونزلنا لإقامة المساء على مقربة من الغضاه في مكان موقعه شمالا ٦٢٨ر٢٣ ٢٨ وشرقا ٦٤ر٤٩ ٤٠ . وفي يوم السبت سرنا ٤ر١٨ كيلا هوائيا ووقفنا للغداء في مكان موقعه شمالا ٧٣١ر١٤ ٢٨ وشرقا ٧٥٨ر٥٤ ٤٠ ثم سرنا ٥ر٢٤ كيلا هوائيا قبل أن نصل جبة .

ونتأكد فيها من اكتمال مؤونتنا وعدتنا قبل أن نبتعد عن سكاكا . وبالفعل فقد أقمنا اليوم التالي على مقربة من منزلنا هذا بينما عاد بعضنا إلى سكاكا لاستكمال بعض مستلزماتنا [٣٨] . وفي ضحى يوم الثلاثاء تابعنا رحلتنا مارين بأويسطات أحد آبار الشقيق [٣٩] ومن ثم بكثبان محاقين قبل أن نصل منزلنا الثاني . وقد كان يوم الثلاثاء هذا هو أول الأيام التي سرنا فيها يوما كاملا تقريبا ، ورسمنا النهج الذي بقينا عليه حتى نهاية الرحلة . فقد أفقنا قبل صلاة الفجر وأفطرنا قبل طلوع الشمس ومشينا بعد الشروق بقليل . وبحلول الظهر ، بعد مسير أربع ساعات تقريبا ، وقفنا (للمظحى) [٤٠] ، أي للغداء ، ثم بعد ذلك ركبنا لمدة مماثلة حتى قبل الزوال بساعة أو أقل عندما حللنا بمنزل المساء . وبعد صلاة الجمع ، أي بعد المغرب بقليل ، تم تجهيز العشاء ، وبحلول الساعة الثامنة مساء كان أكثرنا فى فراش النوم .

هذا الموجز لبرنامجنا اليومي بطبيعة الحال يغفل الكثير من التفصيل . فالصحوة قبل الفجر يبدؤها أولنا فى الساعة الثالثة ويتبعها إيقاد النار وإعداد القهوة وقرص الإفطار ، ويصحبها تعالي الأصوات حول النار لتوقظ من لم يكن مع الأولين ، فإذا بهذا بين الرغبة بمشاركة أنس الرفاق والقرب من النار وبين الحسرة على ترك دفء الفراش حتى يعلو صوت المؤذن بالفجر ليحسم أمره [٤١] . وإذا ما حل وقت الرحيل ذهب البعض لإحضار الركائب

---

(٣٨) عندما أقمنا في مساء هذه الليلة الأولى تبين لنا أن قرب الماء الجلدية الجديدة التى حملناها مازالت تحمل طعم الدباغ في مائها . لذا فقد استبدلنا بالقرب ثماني صفائح تسع كل واحدة منها ٢٠ لتراً من الماء ووضعناها في حقائب فصلت لها على جانبي أربع من الركائب .

(٣٩) الشقيق ـ مورد قديم من موارد البادية به عدد من الآبار يقع إلى الجنوب من سكاكا وعلى بعد ٩٥ كيلا منها . والشقيق مكون من ثلاثة آبار هي الزهيريات واويسطات والرغيفيات . وتتباعد هذه الآبار عن بعضها البعض مسافة تتراوح ما بين ٢ ـ ٥ كيلو مترات .

(٤٠) في لسان العرب (مج ١٤ ص ٤٧٧) « الضحية : الشاه التي تذبح ضحوه .. وضحا الرجل ... برز للشمس ... وضحى الرجل يضحي ضحا اذا أصابه حر الشمس » .

(٤١) كان فطورنا يبدأ بالقهوة والقدوع أي التمر . (ورد في لسان العرب مج ٨ ص ٢٦١ ـ أقدع من هذا الشراب أي أقطع منه أي اشربه قطعاً . وقد يكون هذا هو مصدر كلمة قدوع المستعملة الآن بمعنى التمر) ثم بقرص الجمري ـ وهو رغيف من الخبز يدفن في رماد النار ويغطى بالجمر ليستوي ـ والعسل .

المنتشرة للرعي بينما تولى الآخرون جمع العدة وترتيبها . فما أن يؤتى بالركائب حتى ينشغل الجميع بتجهيزها للتهيؤ للرحيل ثم بجمع وحرق كل مخلفات المنزل قبل أن نغادره . فإذا ما انطلقنا كنا فرقة واحدة ثم ما لبثنا أن انفصلنا إلى مجموعتين أو ثلاث بسبب الاختلاف في سرعة مشي المطايا أو بسبب تفضيل البعض للعدو على المشي . ومع هذا فإننا غالباً ما نكون على مرأى من بعضنا البعض بل وعلى مسمع أيضا من أصوات الهجيني التي كان يتبادلها بعضنا أثناء المسير [٤٢] . وعندما نقف للغداء فإن وقفتنا عادة تتراوح ما بين ساعة وساعتين نعد فيها القهوة ونأكل ما تيسر ونصلي صلاة الجمع ونتيح لركائبنا ولبعضنا فسحة للراحة وللبعض الآخر فرصة للمشي ومثله من أنواع الرياضة . والعمل في هذا الوقت محدود فنحن لا نحتاج إلا لقليل من الحطب للقهوة كما أننا لا (نجدع) [٤٣] ـ أي نخلع الخرج والقربة إن وجدت ـ عن ركائبنا [٤٤] . أما في منزل المساء فإن شغلنا فيه أكثر . فنحن ما إن ننزل ونخلع عن الركائب حتى يباشر أكثرنا جمع الحطب وبناء العنة [٤٥] ـ أي حظيرة المجلس ـ تحت إحدى أشجار الغضا أو الأرطا ، بينما ينشغل أحدنا بإشعال النار وتجهيز القهوة والآخر بإعداد العشاء فما أن يحل آذان المغرب حتى نكون قد أكملنا كل أعمالنا واختار كل منا مكان منامه وبسط فراشه في ذرا غضاة أو ارطاة أو عدة مطيته ، ثم نجلس حول النار نستعرض أحداث اليوم ومشاهداته فإذا باليوم ينتهي كما بدأ على وقدة النار وأصوات الربع وأنسهم وجلبتهم وحس المطية على مقربة من فراش صاحبها [٤٦] . ولن أنسى دفء تلك الجلسة التي كانت تتكرر في مساء كل ليلة وسط العنة التي كنا نبنيها تحت شجرة الغضا أو الارطا التي نختارها كل يوم . فنحن في تلك الحظيرة وعلى ضوء ودفء نارها

---

(٤٢) الهجيني ـ هو غناء البادية على ظهور الهجن وله الحان وأسماء مختلفة في مختلف مناطق المملكة . وفي لسان العرب (مج ١٣ ص ٤٣١) الهجنة من الكلام ما يعيبك . والهجين عند العرب ابن الأمة .

(٤٣) في لسان العرب (مج ٨ ص ٤١ ـ ٤٣) « الجدع : القطع .. وجدع الرجل عياله اذا حبس عنهم الخير » .

(٤٤) غداؤنا يكون عادة من بقايا جمرية الصباح والعسل .

(٤٥) العنة ـ حظيرة تبنى على شكل دائرى وتكون جدرانها من أكوام الحطب يقيمها النازل في البر للاحتماء بها من الرياح الباردة ولإمداد وقدته بالحطب . وفي لسان العرب (مج ١٣ ص ٢٩٣) ورد أن العنة هي « الحظيرة من الخشب أو الشجر تجعل للإبل » « وإن الغنم تحبس فيها » .

(٤٦) كانت ركائبنا عندما تعود في المساء من المرعى تذهب إلى موضع خرج وأغراض راكبها حيث تبرك ـ تربض ـ حتى الصباح .

وفي خضم سلوتها يغيب عن أذهاننا أننا في عمق الصحراء وفي قلب الثاني من الكانونين حين تنخفض درجة الحرارة إلى اقل من التجمد ، ولا نتنبه إلى كل هذا إلا إذا خرجنا من عالمنا الخاص فأحسسنا فجأة بصقيع البرد الشديد حولنا واصطدمنا برؤية هذا العالم وقد تضاءلت أهميته وسط ظلمة الليل الشاسعة .

لقد كنا نقطع في كل يوم من أيام رحلتنا هذه ما بين ثلاثين وأربعين كيلا هوائياً تقريباً. وفي تقديرنا فإن الثلاثين كيلاً هوائياً تعادل ما بين أربعين وخمسين كيلاً أرضيا أو نحوها . والسبب في ذلك هو أن ركائبنا فى النفود لا تسير بخط مستقيم وإنما بخط متعرج يتبع العراقيب وما هان من الأرض . ويقول بعض رفاق دربنا الذين عرفوا ركوب الهجن قبل ركوب السيارات أن الهجن تستطيع أن تقطع ما بين مئة إلى مئة وخمسين كيلاً يوميا في الأرض السهلة المنبسطة خاصة عندما يخف محملها .

في اليوم الأول دخلنا النفود وباشرنا خل العمور وهو الطريق الذي رسمه الأقدمون وما يزال يستخدمه المسافرون على السيارات بين سكاكا وجبة (٤٧) .

وقد يتساءل المرء كيف يمكن أن يكون طريق في وسط هذه النفود الكبيرة برياحها الدؤوبة ورمالها المتحركة . ولكن هذا الطريق أو الخل موجود وهو واضح المعالم للمسافر الآن . في الماضي كان المعلم هو دمن ركائب القوافل التى كانت تسلك هذا الطريق باستمرار أما اليوم فإن معلمه هو أثر السيارات التي تطرقه كل يوم . ولاشك أن أحد أهم الاعتبارات التي حددت مسار الخل في الماضي هي سهولة مسلكه للركائب . كما لاشك أن هذا هو السبب الأول الذي جعل هذا الدرب هو المسار المفضل لأكثر المسافرين بالسيارات اليوم .

وأبرز ما شاهدناه في هذا اليوم هو سيارات الحطابة أي المشتغلين بقطع حطب الأرطا والغضا ونقلها للأسواق للبيع . وقد شد اهتمامنا كثرة هذه السيارات إضافة إلى أن بعض أصحابها يمتهنون العمال المستقدمين من الخارج لتقطيع الأشجار وجمع الحطب . وأبرز ما لم نشاهده في هذا اليوم ، بل وفي كل أيام سفرنا ، هو الصيد ، أي الغزلان والأرانب والحباري وغيرها من الحيوانات والطيور التي كانت تكثر في النفود . فعدا عن أثر لحباري

(٤٧) في النفود طريقان الأول أسمه خل العمور ويسير من جبة باتجاه سكاكا ، والآخر خل الجوف ويسير من جبة باتجاه دومة الجندل . وفي لسان العرب (مج ١١ ص ٢١٤) « الخل هو الطريق في الرمل » .

شاهدناه وثعلب وقعنا عليه فإننا لم نر أي حيوان بري يذكر . والمشهور بين الناس أن القنص ـ خاصة بعد أن ظهرت السيارات وبنادق الصيد الحديثة ـ هو المسئول الأول عن نقص حيوانات الصيد بل وانقراضها من كثير من المناطق . ويبدو لي أنه بالإضافة إلى القنص المفرط فإن التزايد الكبير في أعداد المواشي ، خاصة الأغنام منها ، وما أدى إليه من رعي جائر ، وتقطيع الأشجار للحطب بشكل واسع وما سببه من تعرية للأرض في كثير من المناطق ، خاصة خارج النفود ، هما أيضا من أسباب هذه الظاهرة البيئية الملموسة .

بعد أن تجاوزنا محاقين التي مررناها قبل العصر أتينا على أرض بدت فيها خضرة العشب من أثر مطر الوسم (٤٨) فرغبنا أن تكون مكان إقامتنا في ذلك المساء . وكانت السماء في تلك الليلة مكسوة بالغيوم وقرب الفجر صحونا على مطر ديم (٤٩) استمر بالنزول تارة على هيئة رذاذ وتارة أخرى أكثر من ذلك حتى وقت الظهر . ولم يعقنا هذا الديم عن الرحيل أو يقصر من مدة مسيرنا في ذلك اليوم ، رغم أن بعض ركائبنا كانت كلما مرت بغضاة كبيرة تبطىء المشي وتحاول جر راكبها للغضاة رغبة في الاستذراء بها عن المطر والبرد الذي صاحبه . في ضوء هذه الحال ونظراً لتعود ركائبنا على أكل الشعير وفقدانها له ليومين متتالين فقد قررنا أن نتجه إلى أول بيت شعر نراه لتعليف الركائب وسقياها (٥٠) . ولم يمض وقت طويل حتى وجدنا ما كنا نبحث عنه فنزلنا عند صاحب البيت الذي خرج لاستقبالنا وأخبرناه بحاجتنا فبادر بتقديم ما طلبنا منه لركائبنا (٥١) . ثم ذهبنا إلى بيته ذي الواجهة الجنوبية المرفوعة

(٤٨) الوسم أو الوسمي هو المطر الذي يأتي في أول الموسم في الفترة ما بين ١٦ أكتوبر حتى ٦ ديسمبر . وفي لسان العرب (مج ١٢ ص ٦٣٦) « الوسمي مطر الربيع الأول ، لأنه يسم الأرض بالنبات » .

(٤٩) مطر الديم ـ يأتي عادة وسط الشتاء دون رياح ورعد وبرق ويمتد هطوله لفترة قد تطول لساعات أو لأيام . ومطر السحاب يأتي في أول الوسم وفي الربيع والصيف ويكون عادة مصحوبا بهواء شديد ورعد وبرق .

(٥٠) بناء على ما جربناه فإننا في المستقبل ، إن أتيح لنا تكرار مثل هذه الرحلة ، سنغير في علف ركائبنا فنستبدل بالحبوب ، أي الشعير ، الدريس أو ما شابهه من الأعلاف اليابسة حتى لا تفتقد ركائبنا علفها أو نضطر إلى تعليفها أثناء السفر فتكتفي بما تجده من مرعى أخضر أو يابس في الطريق .

(٥١) مضيفنا هذا هو شلاش بن جلغيف الرمالي .

المحتضنة لضوء الشمس [٥٢] ـ في غير هذا اليوم الغائم ـ والظهر المروق ودخلنا مجلسه فاستقبلتنا رائحة وقدة الغضا وحميس البن فيه وعانقنا دفء هوائه فجلسنا حول النار وشربنا القهوة وأكلنا من المعروض الجزل ، وأبى مضيفنا أن يسمح لنا بالمسير ملحاً علينا بالإقامة حتى الصباح .

ولاغلو في القول أن الاهتمام بحسن استقبال الضيف وإكرامه وإجابة طلباته هو أمر ليس بجديد ولا مستغرب في هذه البلاد عامة أو في هذه المنطقة بالذات . إلا أن أشياء رأيتها في هؤلاء المضاييف لا أود أن أتركها تمر دون ذكر وتوضيح . فمضيفنا هذا ، ومثله آخرون ، لم ينتظر مجيئنا إليه أو وقوفنا عند بيته قبل أن يشرع باستقبالنا ، بل خرج إلينا ما أن رأى قافلتنا داعياً إيانا إلى قبول ضيافته . وقد تكرر مثل هذا الموقف مراراً وكان مصدر حرج كبير لنا ، بين رغبة في إجابة الدعوة وبين شعور بضيق الوقت وطول المسافة أمامنا . وهكذا كلما مرت بنا سيارة توقف صاحبها ليعلمنا بمكان منزله ويطلب منا أن نعرج عليه ، وما نمر ببيت إلا ويخرج أهله لدعوتنا لدخول بيتهم مصرين ملحين بدعوتهم . وحسبي أنهم كلهم شعروا أننا بوسيلة سفرنا البطيئة واستعداداتنا البسيطة بحاجة أكبر لرعايتهم ومساعدتهم . كما أنني لا أشك في أن مظهر ركائبنا المحبب لهم ومنطق رحلتنا المثير لإهتمامهم وحب استطلاعهم كان عاملاً مضافا وراء تفاعلهم الكبير .

الجانب الآخر الذي شدني في هؤلاء الرجال هو بيوتهم التي يجعلونها في أعالي الأرض لكي تكون على مرأى من المسافر الذي قد يحتاج لضيافتهم في هذا القفر المتباعد الأطراف . ثم إنك عندما تدخل البيت تجد مجلسه مهيأ وكأن أصحاب البيت كانوا بانتظارك . فوجه بيت الشعر مرفوع والبساط والفراش والمتكأ موضوع بشكل منتظم ومريح ، والأرض الرملية نظيفة ، والوجار [٥٣] جذاب المظهر

(٥٢) بيوت شمر كما نكر تكون واجهتها مقابلة للجنوب . أما بيوت قبيلة الروِلة فإن واجهتها تكون قبالة الغرب أو الشرق . وقد يكون السبب في هذا الإختلاف هو أن الرولة ، التي كانت تنتشر في السهول حيث لا شجر ولا نراء كما في النفود ، تبني بيوتها في مقابلة الغرب أو الشرق لتقي إبلها من الرياح الغربية أو الشرقية الباردة التي تغلب في مناخ الشتاء في شمال المملكة العربية السعودية .

(٥٣) الوجار ـ الاسم الذي يطلق الآن على مكان مشب النار وإعداد القهوة في مجالس البيوت السعودية التقليدية وفي بيوت الشعر. وفي لسان العرب (مج ٥ ص ٢٨٠) « الوجار هو سرب الضبع والوجر مثل الكهف يكون في الجبل » .

و(الدلال) [٥٤] مصفوفة بعناية ، وأواني التمر والسمن موضوعه في متناولك . وما أن تجلس حتى تأتيك القهوة جاهزة كأنها كانت بانتظارك . وفوق هذا وقبله وبعده فأنت دائماً تحت فيض متواصل من الترحيب والخطاب الجميل وأمام وجوه باسمة متفائلة مريحة . فكل شيء في هؤلاء المضاييف وحولهم يقول لك إنك محل اهتمامهم وتقديرهم وأنهم يجدون سروراً كبيراً في رعايتك وإكرامك وكأنك أنت صاحب الفضل عليهم .

هذه الصورة التي رأيتها عدة مرات في هذه الرحلة وفي مناسبات أخرى قبلها وبعدها في عدد من الأماكن تقول لي أن الكرم الذي اشتهر به العرب ومازال يسري بدم هؤلاء هو شيء مختلف جداً عن البذخ والإسراف الذي أصبحنا ، وقد اتسعت أرزاقنا ، نعتقد أنه عنوان الضيافة والمروءة . كما تقول لي إن صفة الكرم هذه هي مؤسسة اجتماعية لم تأت من فراغ . فهؤلاء البدو أصحاب الإمكانات المحدودة والوسائل البسيطة عندما يرفعون بيوتهم لتكون على مرأى من الضيف القادم ويهيئونها لاستقباله في كل وقت ، لا يفعلون هذا إلا من إدراك متوارث بأن بيئتهم ونظام حياتهم يفرض هذا عليهم ويلزمهم به . فمن غير هذه المؤسسة الاجتماعية التي نسميها الكرم أو حسن الضيافة ربما ما كان للحياة في هذه البقاع أن تكون بشكلها الذي صارت إليه . ففي هذه الصحراء المقفرة حيث لاسيارات ولا طرق ولا مياه ولا مطاعم ولا فنادق ما كان للمسافر على قدمه أو على ظهر مطيته في الماضي أن يروح بعيداً في أغلب الأحيان إلا في ظل هذا النظام الواعي الذي يوفر له الرعاية اللازمة حتى من ألد خصومه . إنما جميل أن يضع أسلافنا نظاماً لحياتهم يقوم على أسس من النبل والمروءة والأريحيه بعيداً عن المضامين المادية البحته التي تغلب عند كثير من الآخرين .

البادية ، إن صح هذا التعبير اليوم، تنتشر في النفود من شمالها إلى جنوبها وأكثرها خاصة في منطقة وسط النفود التي مررنا بها ، هم من قبيلة شمر . وماشية بادية النفود الآن أكثرها من الأغنام النجدية [٥٥] وإن كان بعضهم مازال يقتني الإبل . وكما هي الحال

(٥٤) الدلال ـ أباريق القهوة . وأعتقد أن مصدر هذا الأسم هو كلمة الدلال بمعنى الترف . فالقهوة في السابق ما كانت توجد إلا عند القلة.

(٥٥) الأغنام النجدية هي سلالة نشأت في سهول هضبة نجد وكانت في الماضي هي أكثر السلالات المحلية انتشاراً وأكثرها عددا وأثقلها وزنا . والغنم النجدية عادة تكون سوداء اللون تتميز بمقاومتها للعطش ونقص الغذاء والمقدرة على السير مسافات طويلة . ويعرف عن النجدية أيضا ارتفاع نسبة التوائم وطو الأدرار فيها مقارنه بالأغنام المحلية الأخرى . انظر العيفان صالح ناصر (معد) ـ سلالات الأبقار والماعز والأغنام المحلية ، (الرياض : وزارة الزراعة والمياه ، إدارة الثروة الحيوانية ، ١٤١٣هـ) ٣٦ ص .

بالنسبة لبقية مربي المواشي في هذه البلاد فهم يعتمدون على الشعير المعان في تعليف ماشيتهم ويستعملون (الوايتات) ـ أي سيارات الماء ـ لسقيها . واليوم لم يعد وجود الماء مقصوراً على الموارد التقليدية الموجودة خارج النفود مثل الشقيق وعذفا والحيانيه وتربه وغيرها بل أصبح موجوداً أيضاً في وسطها .

وأهم ما يميز النفود عن سواها من صحراء الشمال هو احتفاظها حتى الآن بقدر من الغطاء النباتي . إلا أنني أكاد أجزم أن هذا الغطاء قد تغير عما كان عليه في الماضي وأنه في سبيله إلى التقلص المستمر نظرا للقطع الذي تتعرض له أشجار النفود إضافة إلى دخول الغنم إليها بأعداد تزيد بكثير عما كان مألوفاً بها في الماضي [٥٦] . ومع مزية الوفرة النسبية للغطاء النباتي ، فان أصحاب الماشية في النفود ينفردون أيضا باستعمال أسلوب (الهملة) في رعي ماشيتهم ، خاصة الإبل ، أي أنهم يتركونها ترعى دون رقابة دائمة من راع ثابت معها . ويبدو أن ممارسة هذا الأسلوب في النفود عدا سواها ترجع إلى أن ماشية النفود مضطرة لأن تعود إلى مورد واحد للشرب نظراً لتباعد الموارد في النفود عن بعضها وصعوبة الوصول اليها .

سرنا من بيت مضيفنا قرابة العصر ومضينا حتى أصبحنا على مرأى من العليم عندما نزلنا (للمعشى) والمقام . والعليم هو عبارة عن تلين أسودين أحدهما أكبر من الآخر يقعان وسط النفود تقريبا بين سكاكا وجبة . في الماضي كان العليم يسمى عليم الظما نسبة إلى بعده عن الموارد وتوسطه في النفود ، فكان قفراً لا تصله البادية بماشيتها إلا في الشتاء أو الربيع . أما اليوم فقد أصبح العليم مورداً للبادية بعد أن حفر به بئر للماء [٥٧] .

(٥٦) تستند هذه المشاهدة حول الغطاء النباتي على ما أذكره ويذكره الكثير ممن عرفوا النفود في الماضي . كما أنني طالعت لوحة رسمتها الليدي آن بلانت للنفود عندما عبرتها في طريقها من سكاكا إلى جبة في سنة ١٨٧٩م سالكة نفس الطريق الذي سلكناه ، يظهر فيها بشكل جلي كثافة الغطاء النباتي في النفود مقارنة مع ماهو موجود الآن وهذه اللوحة موجود نسخة منها في دار الجوف للعلوم التابعة لمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية Lady Anne Blunt A Pilgrimage to Nejd, the Race, 2 vols., London, John Murray, 1881 : reprint ed, London Frank Cass, Cradle Arab 1968, vol 1 pp. 88, 114: vol 2 p. 511 . وأكثر الأشجار ـ والنباتات ـ من غير الأعشاب الربيعية ـ التي رأيناها في النفود أثناء هذه الرحلة هي الغضا والأرطا والمطي والنصي والقصبا والكرى والرخامة والمصيع والسعدان .

(٥٧) حفر البئر عناد بن دبش الرمالي .

في صباح اليوم التالي وقفنا على بئر العليم وملأنا قربنا من مائه الحلو وأتينا بركائبنا إلى القرو ـ أي بركة الماء المخصصة لسقيا الماشية ـ لتشرب. وأثناء وجودنا على الماء رأينا بضع سيارات تأتي لتملأ خزاناتها منه. وليس في العليم أية مبان ثابتة غير البركه والبئر.

سرنا من العليم وتغدينا على مقربة منه، ثم سرنا حتى كانت الأثالي ـ وهو اسم لمكان به مجموعة من أشجار الغضا أصبحت أحد معالم المنطقة ـ إلى الغرب منا عندما نزلنا لإقامة المساء. وأبرز ماشاهدناه في هذه المنطقة هو تزايد الأرطا وتناقص أشجار الغضا. والأرطا أو العبل والغضا هما رعي للماشية ووقود للانسان. كما أن الأرطا يستعمل لدبغ الجلود. ووقود الأرطا يتميز بطول وقدته، أي ديمومتها، وصلابة جمره. إلا أن لوقدته دخانا كثيفا موجعا للعيون. أما وقدة الغضا فهي سريعة الاشتعال قوية اللهب ولكنها لا تدوم طويلاً. إنما تتميز وقدة الغضا برائحتها الطيبة. كما أن رعي الغضا محل اهتمام أصحاب المواشي فهو من نباتات الحمض [٥٨] التي تطيب عليها الماشية. وقد احتفظ الغضا منذ وقت العرب الأولين وحتى الآن بمركز خاص في شعر أهل الصحراء وكان له مدلولات وإيحاءات وجدانية. وحسبي أن هذا يرجع إلى حب الإبل ـ التي تحبها العرب ـ لرعي الغضا. يقول مالك بن الريب:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بأرض الغضا أزجي القلاص النواجيا

---

(٥٨) الحمض ـ في إجابة على سؤال وجهته إلى مركز أبحاث المراعي بالجوف عن الحمض أجاب المركز بأن عائلة نباتات الحمض ـ الرمرامية (Chenopodiaceae) تضم كثيرا من النباتات المعمرة والحولية ويطلق على بعضها اسم الشجيرات الملحية Salt) bush (وتعتبر الشجيرات التابعة لهذه العائلة من أهم الشجيرات الصحراوية التي تتحمل الجفاف وملوحة التربة وتعطي إنتاجية جيدة وتعد من الشجيرات التي تقبل الحيوانات على رعيها وتفضلها على سواها . ومحتوى هذه الشجيرات من البروتين مرتفع كما أن نسبة الأملاح فيها مرتفعة أيضا ... وتعد لحوم الإبل والأغنام التي ترعاها من أفضل اللحوم مذاقا . ومن أهم نباتات الحمض في شمال المملكة الروثة والرغل والقطف والفرس والعراد والشعران والرمث والعجرم والخريط والحاذ والغضا والغضراف والسويدا والتويد . وفي لسان العرب (مج ٧ ص ١٣٨ ـ ١٤١) « الحمض : كل نبت مالح أو حامض ... » .

فليت الغضا لـم يقطع الركـب أرضـه
وليت الغضـا ما شى الركـاب ليـاليـا
لقد كان في أرض الغضـا لو دنا الغضـا
مقام ولكن الغضـا ليس دانيـــا[٥٩]

يقول الشاعر النبطي عجلان بن رمال :

واديــرتي سقـــاه سيــل بعــد سيــل
علقــاه[٦٠] ورد وعـــاذره[٦١] زعفــرانا
تفتحـت بافلوقـهـا[٦٢] للنـزازيـل[٦٣]
صار الغضـا فيهـا كمـا السنديانـا
مثل الهنوف[٦٤] الي تقظ العباهيل[٦٥]
خص الياخش[٦٦] الحماط[٦٧] اربيـانا[٦٨]

وفي منزلنا عند الاثالي حــصلت ركـائبنا على وجـبـة ثانيـة من الشـعـيـر عندمـا أصــر أحـد الكرام على إحضـار ضيافته لنا ولركائبنا بسيـارته في منزلنا بعـد أن بينا لـه الصعـوبة التي نلقاها في تغيير مسارنا للذهاب إلى منزله[٦٩] .

---

(٥٩) انظر البغدادي ، عبدالقادر عمر ـ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، ط٢ (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٦٧م) مج٢ ص ٢١٠ .
(٦٠) العلقا ـ من نباتات النفود .
(٦١) العاذر ـ من نباتات النفود .
(٦٢) افلوقها ـ المنخفضات أو الممرات في النفود .
(٦٣) النزازيل ـ البادية التي تنزل النفود .
(٦٤) الهنوف ـ الفتاة الجميلة .
(٦٥) تقظ العباهيل ـ تطلق شعرها .
(٦٦) خش ـ خالط .
(٦٧) الحماط ـ من نباتات النفود له زهرة حمراء .
(٦٨) اربيانا ـ من الأعشاب التي تنبت في الربيع ، وله زهرة بيضاء .
(٦٩) مضيفنا هو بشير بن معزي الاقشر الصنخ .

من الأثالي سرنا مع الخل حتى أمسينا في منزل على مرأى من الغضاة وباتجاه الغرب منها . والغضاة شجرة غضا كبيرة هي آخر أشجار الغضا للمسافر باتجاه جبة . والأرض بعد الغضاة يغلب فيها شجر الأرطا وتزداد فيها الوعورة ، أي عمق الفلوق أو ارتفاع الكثبان ، بشكل ملحوظ . ومثل هذه الأرض التي تخلو من الحمض تسمى عند أهل النفود الشعرا [٧٠] . والفلوق ممرات منخفضة بين الكثبان تشبه الوديان تسير دائماً باتجاه غربي وشرقي وتتباعد الفلوق عن بعضها البعض بمسافات تتراوح بين ألف وألفي متر أو نحوها . وأهل النفود يقيسون المسافات بالفلوق فيقولون ، على سبيل المثال ، أن المسافة من جبة إلى سكاكا هي تسعون فلقا . ولأهل النفود تفصيلات كثيرة بأسماء الكثبان وامتداداتها وجوانبها [٧١] .

ومن مشاهداتنا في هذا المكان أن أهله يستعملون (الهملة) حتى في رعي أغنامهم . وقد يكون هذا عائدا إلى خلو هذه المنطقة من الحيوانات المفترسة إضافة إلى الأسباب الأخرى التي ذكرتها.

كانت إقامتنا عند الغضاة هي آخر الليالي التي أمضيناها في طريق رحلتنا. ففي مساء يوم السبت ـ اليوم الخامس بعد مسارنا من أبي راسين والأطول في أيام رحلتنا حيث أمضينا خلاله عشر ساعات ونيف على ظهور الركائب وقطعنا ٤٣ كيلا هوائياً في أوعر المناطق التي مررنا بها في طريقنا ـ وصلنا إلى جبة . وجبة بلدة قديمة بها مواقع أثريه وبساتين نخل تقع بجوار مجموعة جبال سوداء تسمى أم سلمان وتحيط بها الرمال من كل الاتجاهات ، وتسير منها طريق معبده إلى حائل . ويجمع أهل جبة ـ الذين غمرونا باهتمامهم وترحيبهم بدءا بأميرهم الذي سررنا بلقائه والسلام عليه ومرورا بجميع من رأيناهم واجتمعنا بهم في

---

(٧٠) جاء في لسان العرب (مج٤ ، ص ٤١٢) عن الشعرا « قال أبو حنيفة الروضة يغم رأسها الشجر وجمعها شعر » .

(٧١) من هذه الأسماء (الطعس) وهو الكثيب ، و (البرخوص) وهو الكثيب الصغير ، و (النازية) وهي الكثيب الذي ليس له رأس مدبب وإنما له راس منبسط . و (العرين) وهو الظهر الممتد بين (فلق) وآخر . و (الصفيح) وهو المنحدر الشمالي إلى (الفلق) و (المقناة) وهو المنحدر الجنوبي إلى (الفلق) . و (القعر) و (الجرعا) وهما الحفرة في بطن (الفلق) . و (الصدر) وهو الطريق الذي يكون إلى الجهة الشرقية من (القعر) . و (الحجاج) وهو الطريق الذي يكون إلى الجهة الغربية من (القعر) . و (البنيه) وهي الرجم المكون من حطب الأرطا .

بيت الأمير وبيوت أخرى تشرفنا بزيارتها [٧٢] ـ بين حياة الحضر وحياة البدو . إذا دخلت بيوتهم فان أول ما يقابلك في فنائها (الليوان) ـ أي المجلس الذي يكون أحد جوانبه مفتوحاً أي بدون جدار ـ الفسيح أو بيت الشعر الكبير الذي تزينه (الأشدة) وصواني التمر و (الدلال) ووقدة النار وصوت (النجر) [٧٣] ، وأول ما تقابل به الترحيب . فأهل جبة باقون على الأصول والعادات الكريمة القديمة التي عرفت بها هذه البلاد [٧٤] .

خواطر ما بعد الرحلة :

لقد كانت تلك الليلة التي أمضينا جلها في ضيافة أهل جبة هي خير ختام لهذه الأيام الفريدة المليئة بالذكريات والدروس والعبر . وغني عن القول أن مثل هذه الرحلة بما اتصفت به من جدة وما تحقق فيها من اجتماع بأعزاء ، وماحصل فيها من راحة بال وسير في أرض خلاء ، هي من أجمل الأيام التي يذكرها الإنسان. وذكريات هذه الرحلة كثيرة إنما جلها ، كما هي الحال عادة في مثل هذه المناسبات ، مواقف يغلب فيها الطابع الخاص . فهي لأصحابها تمرهم بين وقت وآخر فيضحكون لها أو يشدهم الحنين إليها [٧٥] . ولعل القاريء ـ خاصة إن .

---

(٧٢) قبل أن نصل جبة استضافنا للغداء مبارك بن عيادة بن عبيكة . وعندما أصبحنا على مشارف جبة وكانت على مرأى منا وقفنا لتناول القهوة بضيافة رجا بن عادي الرمالي . وعندما وصلنا جبة كنا بضيافة أميرها عبدالله بن غالب بن فلاج الرمالي الذي دعانا للعشاء . وقبل أن نغادر جبة استضافنا لشرب القهوة كل من نايف بن عتيق بن رمال ومبارك بن عيادة بن عبيكة وشجاع بن مرعيد بن رمال .

(٧٣) النجر ـ جاء في لسان العرب (مج ٥ ص ١٩٣ ـ ١٩٥) « أصله الدق ، ويقال للهاون منجار » .

(٧٤) في قصيدة للأمير عبدالله بن رشيد قالها بعد خروجه من حائل بيتان يمدح بهما جبة . يقول :

جبة سقاه من أول الوسم رعاد ... ما حدرت خشم أم سلمان تسقيه .
حيث إنها للمنهزم دار ميعاد ... ومن لاذ به كن الحرم لا يذ فيه .

(جبة سقاه) يطلب لها المطر . (أول الوسم) المطر الذي يأتي في أول موسم الأمطار الذي يبدأ في منتصف شهر أكتوبر . (رعاد) السحاب المطر المصحوب بالرعد . (ما حدرت) ما سارت بانحدار أي باتجاه الشرق . (خشم أم سلمان) جبل ام سلمان . (دار ميعاد) ملجأ . (لاذ به) احتمى بها

(٧٥) يقول عبدالرحمن بن أحمد السديري في قصيدة نبطية له في وصف ذكريات الخروج إلى البر وصحبة الرفاق :

أيام نقظيها ولو هي قصيرة ... طول السنة بانكارهن تقل تجار .
ربع سوالفهم لقلبي عميرة ... أسج أنا معهم اليا شبت النار
على دلال مكرمات بريرة ... نبرهن بالنار والبن وبهار
عزاة من روح عليهم ظريرة ... وليت الليالي ما تفرق لنا دار

(سوالفهم) أحاديثهم و (عميرة) تحي قلبي و (أسج) اسلى .

انظر السديري ـ عبدالرحمن بن أحمد . القصائد : ديوان الشاعر الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري ـ الرياض مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، ص ١٠٥ .

كان ممن يألفون البر ويعشقون القفر ـ يتصور المتعة التى عشناها في تلك الأيام . فقد كنا نسير في هذه النفود التي تلبس كل يوم ثوبا جديدا فتحسب أن أحدا لم يطاها قبلك ، وأتاها الوسم فبان أثره في أرضها ونباتها وهوائها . ثم أننا نركب على هذا الجيش [٧٦] المجهز بكامل زينته وفي كل يوم نحل بمنزل جديد. إذا جلسنا على النار في ذرا غضاة أو أرطاة أنسنا بالحديث والطرافة والنكتة، وإن مشينا كنا على مثل هذه الحال أو تبادلنا الهجيني ، لا يشغلنا شاغل ولا يعكر صفونا رنين هاتف أو ضوضاء مدينة أو ضغوط عمل أو ارتباطات المواعيد أو غير هذا من التدخلات والالتزامات التي تفرضها الحياة المعاصرة . فلولا صوت بعيد نسمعه أو ضوء خافت نراه بين الفينه والأخرى لسيارة مارة أو طائرة تحلق في الفضاء لتوهمنا أننا نعيش في غير هذا الزمان .

والنفود رغم وعورتها هي من أمتع الأماكن التي يمكن أن يخرج لها محب الصحراء في الشتاء [٧٧] . فهي ذرية ، وفيرة الحطب ، لينة الأرض ، نظيفة المجلس . رياحها تضيع

(٧٦) الجيش ـ اسم للركائب عند البادية خاصة عندما تكون أكثر من واحدة .

(٧٧) للشاعر النبطي عجلان بن رمال قصائد كثيرة في وصف النفود . والمعروف أن عجلان كان قد ترك موطنه بسبب خلاف نشأ بينه وبين الأمير عبدالعزيز بن رشيد ولجأ إلى قبائل عنزة والرولة ثم إلى عودة أبو تايه شيخ قبيلة الحويطات في جنوب الأردن .

يقول عجلان :

يا عل خرجا ما لهلها المقدى ... والتنف وغراب الحدالى ولاهـــه

اللي على عمري تحدا تحدي ... والثلج عندي عـــامل له فلاحـه

لا جا المغيرب تقل خام يقدى ... وسكر هبوب البرد والشمس طاحه

الله على دور لنا لو يـــردي ... مشتا النفود ولذته وانبطـــــاحه .

(خرجا) قرية في شمال المملكة الاردنية الهاشمية و (التنف) مكان يقع في غرب صحراء الجمهورية العراقية على حدودها مع الجمهورية السورية و (غراب الحدالى) اسم جبل يقع إلى الشمال من خرجا الجمهورية السورية بالقرب من حدودها مع المملكة الاردنية الهاشمية . و (لاهه) اسم هضبة تقع في شمال المملكة العربية السعودية بالقرب من حدودها مع الجمهورية العراقية . و (مالهلها المقدى) أي أن أهلها مخطئون في اختيارها . (فلاحـه) أي مزرعة والمقصود أن الثلج يكسو الأرض

الأثر وتخفي المخلفات فلا ترى فيها عادة إلا ماهو من البيئة وما يرتاح له البصر . وقد يكون أفضل وقت للخروج إلى النفود هو في أواخر الخريف ، بعد أن تزول حرارة الجو وتغيب رمضاء الأرض ، حتى وسط الشتاء قبل أن تتحرك رياح الربيع فتثير الرمال في عجاج منغص معم .

وإن كنت قد عجبت لشيء في هذه الرحلة فهو لصبر الهجن وجلدها ومداومتها على المسير رغم ما وضعناه فوق ظهورها من ماء ومأكل وفراش وعدة إضافة إلى من حل راكبا

(لاجا المغيرب) أي إذا حل وقت المغرب . (تقل خام يقدى) أي كانه القماش الأبيض المصفوف . (سكر هبوب البرد) أي اشتد البرد . (والشمس طاحه) أي غابت الشمس . وتأتي كلمة (طاحه) هنا بلهجة شمر . (دور) أي وقت أو عهد . (انبطاحه) أي الانسداح فيها .

ومن قصائد عجلان في النفود قوله :

واديرتي زبنى عن التيل والريــــل	ومصنع الداناة ما قعـدلنـــا راس
أشتي بها بالشبط لو ما معي كيل	يمظي شهر كانون ما شـوف الأوناس
جزرة ظما ما دشها بارد السيـل	مظـامي ما يقطعـة كـل عرماس
نشتى بها لاجل امهـات المخاليـل	بذرا الغضا يرعن ولو هب نسـنـاس
قزون عنها مروحين الشماشيــل	اللي يلفون العـمايم على الـــراس
جزيتهم بالغيظ عشرة مراحيـــل	ارداهن اللي منزلي عقب الادمـــاس
ونزلت عند معربين الاخـــــاويل	هل المكـــارم كاسبـــة كل نوماس
اخوان بتلا لا وقع غالي الشيـــل	حماية الساقه والارياق يبـــــاس

(التيل والريل) قد يكون التيل هو التلغراف أي البرق أو ربما السيارة التي تسمى بالإنكليزية (اتومبيل) . والريل هو القطار . (الداناة) القنابل . (الشبط) شباط (كيل) مؤونه (الاوناس) البشر (جزرة ظلما) جزيرة للظما . (دشها) دخلها . (مظامي) الأماكن التي يظما من ياتيها . (عرماس) رجل . (امهات المخاليل) النوق التي تتبعها صغارها . والمخاليل صغار الإبل . (نسناس) الريح . (قزون عنها) أبعدوني عنها . (مروحين الشماشيل) من ياخذون أو يسلبون الإبل (بعض رواة هذه القصيدة يقولون (مروحين الشماليل) ويقولون المعنى هو أن لملابسهم رائحة . ولكنني أرى أن الرواية الأولى اقـرب إلى الصحة) (الادمـاس) الظلماء والمقصود المسـاء . (الأخاويل) الأخوال . (نوماس) مفخرة . (إخوان بتلا) المقصود آل هذال . (وقع) سقط . (حماية الساقه) الذين يحمون المؤخرة عند الانسحاب وهذه إشارة للشجاعة المتناهية . (الارياق يباس) عندما تكون الريق يابسة من هو الحرب .

البيتان التاليان من قصيدة لم أعثر على بقيتها وقد اختلف حولها الرواة . فمنهم من يقول إنها لعجلان بن رمال ومنهم من يقول إنها للحساوي الرويلي . يقول أحدهما في وصف النفود

الله من برد نحـف حـال عــودي	الظنــه انه من ظنـا بردنـا العـام
الله على عجز بهاك النفـــــودي	نوامهـن يرقــد هنى اليــا نـــام

(نحف حال عودي) اضعف جسمي . (الظنه) الظن . (من ظنا بردنا العام) من أبناء أو من أثر برد السنة الماضية .

(العجز) من العجوز أي كبيرة السن والمقصود هو حطب الأرطا من الأشجار المعمرة التي تكثر في النفود . (نوامهن) النائم بجوارهن .

فوقها . لقد كانت هذه الركائب تسير ، بل تركض في أكثر الأحيان ، بهذه الأحمال لمدة تتراوح ما بين ثماني ساعات وعشر ساعات كل يوم في برد قارص وفوق أرض رملية لينة ، تارة بانحدار حاد وتارة بصعود شديد ، لا تكل ولا تعجز ولا تشتكي فتحسبها سيارة لا روح لها . ثم تراها بعد مضي ليلة واحدة من سفرك عليها لا تبرك بعد عودتها من المرعى في المساء إلا بجوار فراشك وخرجك فتحسبها ألطف خلق الله وأضعفها .

إن هذه الكتابة عن هذه الرحلة هي بلاشك دعوة لكل قارىء من هذا الوطن للتفكير في ممارسة هذه الرياضة القديمة الجديدة ، والسفر على الهجن للتعرف عن كثب على أركان هذه البلاد الواسعة والتأمل في معالمها وأهلها وطبيعتها . فالمعرفة التي يكتسبها الإنسان من مثل هذه التجربة ، والصلة بالأرض وبأهلها التي تتيحه مثل هذه الأسفار ، لا يمكن أن يوازيها مواز من الوسائل الأخرى للخروج إلى البر . وللقارىء أن يتأمل فيما يمكن أن تفعله مثل هذه الرحلات للشباب من تنمية للشخصية وتمتين للعود وتثقيف بالتراث وبواقع الحال في أجزاء هذه البلاد الكبيرة [٧٨] . ولعل البعض يوافقني عندما أقول أن كثيراً من أبنائنا اليوم يعرفون عن بعض البلاد الأجنبية ، من خلال أسفارهم أو من خلال ما يشاهدونه في التلفاز وأمثاله ، أكثر مما يعرفونه عن أجزاء من وطنهم . وإنهم ربما يقدرون على مجالسة ومخاطبة الأجنبي أكثر من مقدرتهم على مجالسة أبناء بلادهم من بادية أو سكان قرى .

كما أن في هذه الكتابة لفت للأنظار إلى بعض الجوانب التي أرى أنها تستدعي الوقوف والتأمل والاهتمام . فما يحدث في النفود وغيرها من المواقع من قطع للأشجار وتعرية للأرض وإتلاف للمرعى ليس أمرا ثانويا ولا مسألة وجدانية لاتهم إلا البعض منا ، بل هي قضية ذات أبعاد بيئية واجتماعية واقتصادية ملحة تؤثر فينا جميعا [٧٩]

---

(٧٨) سوف يسر مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية مساعدة من له اهتمام في القيام بمثل هذه الرحلة بالمعلومات التي يطلبها بما في ذلك مصادر الهجن وعدة السفر . (مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ـ سكاكا ـ الجوف ص ب ٤٥٨ هاتف ٦٢٤٥٩٩٢ فاكس ٦٢٤٧٧٨٠).

(٧٩) كان أمير الجوف السابق عبدالرحمن بن أحمد السديري يري أن السبيل الصحيح للمحافظة على المراعي ومساعدة البادية هو وضع نظام للرعي يقوم على أساس تنظيم دخول البادية إلى المناطق الرعوية على مدار العام وحجب أو تحديد استعمال الآبار التي انتشرت في أنحاء الصحراء . وعلى سبيل المثال كان يرى منع دخول البادية إلى النفود إلا في الشتاء ومنع دخولهم

في الماضي كان في هذه الصحراء توازن طبيعي حدد نوع وعدد المخلوقات التي تستطيع بيئتها أن تستوعبها . لذا، وبفضل سيادة هذا التوازن ، فقد بقيت حيوانات ونباتات هذه الأرض وبقي سكانها على مر العصور رغم ما كانت تمر به من سنين عجاف وتعانيه من أوبئه وتشهده من حروب . الآن بعد أن تجاهلنا هذا التوازن وأخللنا به من خلال ما أدخلناه من وسائل تقنية حديثة ، أو بسبب تدخلاتنا الأخرى في هذا النظام القديم ، فإن هذه البيداء وأهلها وحيواناتها ونباتاتها هي الآن في حال لاتبعث إلى الإطمئنان أبداً .

فالآبار التي انتشرت في كل أنحاء هذه البلاد ، والسيارات التي مكنت البادية من نقل الماء إلى أقصى القفار في كل الأوقات ، نقضت بين ليلة وضحاها ذاك المنطق الأزلي الذي كان يسود هذه الأرجاء ، كما لم يخرق شيء من قبل ، ذاك الحمى الذي كانت تفرضه منظومة الحياة فيها .

لاشك أن مجيء التقنية الحديثة أحدث نقلة كبيرة في حياة أبناء البادية وحسن من أحوالهم وخفف من قسوة ظروفهم . فالسيارة نقلت مع الماء الزاد والدواء والمريض والطالب وأشياء أخرى كثيرة جعلت البادية تتمكن مما لم يكن ممكنا لها في الماضي . وبالمقابل فإن هذه النقلة أخلت بهذه القفار وهتكت كل ما كان قفرا فيها وعصفت بهذه الصحراء وغيرت في كثير مما كانت تعنيه صحاريها.

فالسيارة جعلت بمقدور البادية أن تصل إلى أي مكان في كل وقت وتحت كل الظروف حتى صار مكان نزولها غير مرهون ومدة إقامتها غير مرتبطة بحلول الفصول أو بالقرب من موارد الماء القديمة القليلة أو غير هذا من الاعتبارات التي كانت تحكمها من قبل . ونتيجة

سهول الحماد إلا في الربيع أو الخريف حتى يتسنى للنباتات في هذه الأماكن أن تظهر وتكتمل في نموها بما يخدم أهـــل الماشية ويحفظ النباتات كما كان يحدث في الماضي قبل مجيء السيارة وقبل انتشار آبار الماء في كل مكان ، بدلا من ماهو قائم الآن تجتمع البادية بأعداد مواشيها الكبيرة في الأماكن التي ينزل فيها المطر وبمجرد نزوله فتتلف العشب قبل اكتمال نموه وتقطع أشجار وهي صغيرة فتصبح الأرض بعد مدة قصيرة من تجمعهم جرداء قاحلة لا مرعى ولا منزل فيها .

لنشوء هذا الواقع الجديد فإن النظام الذي كان يحكم حياة البادية ويحدد حركتها فيحمي منها بعض المناطق في بعض المواسم ويحمي غيرها في مواسم أخرى ويسمح للنباتات والأشجار بالنمو والاكتمال والانتشار أصبح نظاماً غير ملزم لها ولا محترم منها . ونتيجة لهذا الشعور المضلل بالتحرر من قيود الماضي فقد تراجعت حالة المراعي في كثير من الأماكن وظهر أثر هذا على البادية بشكل واضح . وهكذا فإن هذه المحاولة للسيطرة على الطبيعة وتطويعها أتت وهي تحمل معها بذرة فشلها والقسط الآخر الكبير من ثمنها .

إزاء هذا الوضع وبدافع الرغبة في التخفيف من أثر الانتكاسات التي كانت البادية تعاني منها بصفة شبه دائمة ، اتجهت الحكومة إلى إعانة البادية لمساعدتها ودعمها ورفع مستوى عيشها. وقد كانت الحكومة قد اعتمدت برامج كثيرة لخدمة البادية شملت محو الأمية للكبار والتعليم للصغار والدعوة إلى الاستيطان ومنح من يفعل هذا الأراضي الزراعية والقروض . بعد هذا ارتأت الحكومة أن تضيف إلى هذه البرامج الإعانات التي قصد منها مساعدة البادية في حفظ ماشيتها . في البدء كانت هذه الإعانة للبادية تأتي في الظروف الطارئة القاسية . ومع مرور الوقت أصبحت الإعانة شيئاً ثابتا وأصبحت وسيلتها المباشرة هي الأعلاف المخفضة والمحددة السعر . ومرة أخرى فقد كان لهذا القرار في بادىء الأمر أثر إيجابي كبير على أحوال البادية . فقد أدى توفر الأعلاف والانخفاض الكبير في أسعارها إلى اطمئنان أصحاب المواشي وإلى الإقلال من آثار تقلبات المناخ ونقص الأمطار عليهم. وأدى هذا كله إلى زيادة كبيرة في أسعار الماشية التي تقتنيها البادية . ولكن مرة أخرى فإن هذا التدخل في نظام الحياة في الصحراء كان له أثره الكبير على إيقاع الحياة فيها .

لقد كانت أهم التطورات التي أحدثتها إعانات الأعلاف هي اندفاع البادية بقوة وعلى نطاق واسع إلى إحلال الأغنام محل الإبل التي كان اقتناؤها هو المفضل وهو السائد في الماضي . والسبب لهذا الاندفاع ، الذي كانت أول علاماته قد ظهرت مع قدوم السيارة إلى البادية ، هو أن الأغنام ، خاصة بعد توفر الأعلاف المعانة ، أصبحت تحقق لأصحابها نفعاً أكبر مما تحققه الإبل .

في الماضي البعيد كانت أعداد الأغنام التي تقتنيها البادية قليلة نسبيا وذلك لأن الأغنام لا تستطيع أن تسير فتقطع المسافات الطويلة التي يلزم قطعها للوصول إلى المرعى ، ولا تستطيع أن تتحمل العطش والجوع وظروف المناخ ، ولا تستطيع أن تتحرك بالسرعة التي تتطلبها ظروف حياة البادية ، كما تفعل الإبل . إنما بعد أن قدمت السيارة فسمحت للبادية بحمل الماء بكميات كبيرة إلى حيث المرعى مهما بعد عن مصدر الماء ، ويسرت من نقل الأغنام أيا كانت المسافة المطلوب تجاوزها ، وبعد أن قلت أهمية الإبل كمصدر أساسي للغذاء أو الملبس أو كوسيلة للتنقل ، وبعد أن انتشرت الأسواق وزاد طلبها على لحوم الأغنام ، فإن المعادلة القديمة تغيرت فأصبحت الأغنام شيئاً مرغوبا فيه وصار اقتناؤها والتوسع في تربيتها أمرا ممكنا. وعندما وصلت الأعلاف المعانة سدت الناقص في هذه المعادلة ، فتسابق أبناء البادية على شراء وتربية الأغنام ودخل معهم في هذا المضمار مستثمرون كثيرون من غير أبناء البادية ، فاندفعت الأغنام من بلاد الشام والعراق ومصادر أخرى على هذه البلاد وأصبحت قطعانها تنتشر في كل مكان وتعد بالآلاف .

المشكلة الرئيسة في هذه المستجدات هي أن الأغنام ليست كالإبل . فالإبل تسير بأخفاف لا تؤثر في الأرض ولا تضر بالمرعى الذي تطؤه ، وإن أتت النبات فإنها لا تصل إلا إلى ما اكتمل نموه وإن رعته فإنها لا تأكل إلا بعضه . أما الأغنام فإن أفواهها الصغيرة تلتقط النباتات وهي مازالت في مراحل النمو المبكرة وأظلافها الصلبه تتلف كثيراً مما لا ترعاه . حتى أن بعض البادية ، وقبيلة المره على وجه التحديد ، تشبه أثر الغنم على الأرض بأثر الجدري على الإنسان ، فعندما يدعو أحدهم على الآخر يقول (جعلك للجدري) وقصده من ذلك عسى أن تأتي الغنم إلى الأرض التي تنزل بها .

وهكذا فمع تكاثر الأغنام ووجود السيارة وانتشار الآبار وقطع الأشجار في كل مكان فلنا أن نتصور ما يعينه كل هذا من ضرر للبيئة وللمراعي وما يترتب عليه في النهاية من أثر على البادية . فالآن بعد كل هذه التطورات وبسببها أصبحت حاجة أصحاب المواشي ـ وأولهم البدو المقصودون أساسا بالإعانة والمساعدة ـ للأعلاف أكبر وصار ارتباطهم واعتمادهم عليها أبلغ وغدا تأثرهم بتغيراتها أشد . فترى أبناء البادية الآن وقد أصبحوا

يترقبون الأعلاف ويتلقفون أخبارها في كل حين فإن قلت كمياتها المعروضة اهتزوا وإن تبدلت أسعارها ارتبكوا حتى في وسط الربيع .
السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو ماذا يجب علينا أن نفعل إزاء هذه التطورات؟ وكيف يمكن لنا أن نصحح هذه الأوضاع ونمكن هؤلاء المواطنين الكثيرين من التمتع بعيش كريم مستقر ؟ فالإعلانات، كما شاهدنا في برنامج الأعلاف وفي برامج أخرى ، لا تحقق إلا نفعا وقتيا يرتهن بها ويقوم على استمرارها ، فإن قلت أو توقفت عادت حال المعان إلى سابق عهده أو دون ذلك . والسبب البسيط في هذا هو أن كثيراً من الأشياء التي تخصص لها إعانات ليس لبدئها أو لاستمرارها أو لتوسعها أي مبرر إلا الإعانات . أي ليس لها أساس آخر يتصف بالثبات أو الاستقرار أو ، كما قد يقول الاقتصاديون ، الجدوى ، يمكنها من البقاء على حالها أو التطور إلى حال أفضل بغياب الإعانات .

الإعانات بلاشك وسيلة لتوزيع الثروة ، وهي لاشك وسيلة سريعة لتحقيق هذا الغرض وإيصال هذا التوزيع إلى أكبر عدد ممكن من المستفيدين منه ولكن المعضلة في هذه الوسيلة وفي المنطق الذي تقوم عليه هو أنه يفترض وجود هذه الثروة دائما ويعول على كفايتها للاستمرار بهذا التوزيع رغم ما يحدث من متغيرات ومن زيادة في عدد السكان وفي الطلب على هذه الإعانات . والمعضلة الأخرى هي أن هذه الطريقة لتوزيع الثروة لا تحقق فائدة باقية أو نفعا مستقراً أو رفعاً دائماً لمستوى عيش المواطن الذي يصل إليه التوزيع وإنما تقوده إلى الارتباط وربما التوسع بعمل أو باستثمار أو بتجارة لا تقوم إلا على استمرار هذه الإعانة . فإن نشأ ما يمنع من استمرارها ـ كما شاهدنا في حالات عديدة ـ رجعت حاله إلى الوراء . وفوق هذا فإن الإعانات يكون لها دائماً آثار وتفاعلات جانبية كثيرة غير متوقعة وغير محمودة. ففي حال الأعلاف رأينا كيف أدت الإعانة مع أشياء أخرى إلى قيام البادية باستبدال ماشيتها التقليدية وإحلال مالا يصلح لبيئتها محلها ، والى دخول آخرين كثيرين في مجال تربية الأغنام معها ومنافستها على المرعى والأعلاف ، وأخيراً إلى زيادة الضغوط على المراعي إلى الحد الذي أدى إلى الاضرار بها وبالبادية التي تعتمد عليها . وفي حالات أخرى فقد كان من آثار الإعانات غير المتوقعة الزيادة الكبيرة في استهلاك خدمات

المرافق أو في سحب المياه الجوفية أو غير هذا من التفاعلات التي لم نحسب لها حسابا وأصبحنا نعاني من مساوئها الكثيرة .

نحن يجب أن لا نغفل الحقيقة المتمثلة في أننا مازلنا نعيش في وسط صحراء كبيرة مياهها محدودة وسكانها يتزايدون وثرواتها الطبيعية تحكمها ظروف الأسواق العالمية ، وأننا مازلنا رغم كل ما حققناه من تقدم وبناء وزراعة وصناعة نعتمد إلى حد كبير جداً على هذه الثروات الطبيعية في تصريف شؤوننا وتأمين أسباب عيشنا التي اعتدناها وأصبحنا نتوقع استمرارها . فالسؤال الذي يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أبدا ويلزم أن نستعد للإجابة عليه الآن هو ليس فقط كيف يكون توزيع الثروة إنما أيضا كيف تكون حالنا بعد أن تقل أو تزول هذه الثروة ؟ من يقول بأن هذه مسائل مستقبلية بعيدة عليه أن يعيد النظر مرة أخرى من حوله . ومن يقول أن نضوب الثروات الطبيعية هو نهاية كل شيء ، عليه أن ينظر إلى الدول التي أصبحت في مقدمة العالم الآن رغم خلو بلادها من مثل هذه الثروات .

إن حال البادية ، والحلول التي أرجو أن ننتهي إليها حيال معالجة أوضاعها ، هي حالنا جميعاً والحلول لها هي الحلول لنا جميعاً . ومستقبل البادية ليس في تربية الأغنام . لو كنا نعيش في بلاد تكثر بها الأمطار وتكسوها الخضرة كما هي الحال في اسكوتلاندا أو استراليا أو نيوزيلندا لربما كان لنا أن نفكر في تربية الأغنام والتوسع فيها مثل ماهو جار في تلك الدول . إنما نحن نعيش في صحراء قاحلة أمطارها قليلة وخضرتها محدودة وعابرة والمواشي التي يمكن أن تعيش وتنمو فيها لم تكن في أي وقت من الأوقات هي الأغنام . إن الإعانة قد تبقي الحياة في البادية إلى حين ولكن مخرج البادية بعد الله سيكون في غيرها .

إن الحلول التي أتمنى أن ننتهي إليها يجب أن تبدأ بإلقاء نظرة فاحصة في نقاط القوة والضعف التي تتصف بها برامجنا ، ثم إلقاء نظرة أخرى إلى الدول التي تمكنت من الوصول إلى مراحل ومعدلات من النمو المستقر والازدهار الاقتصادي الثابت نسبيا وغير المرتبط بإيرادات الثروات الطبيعية . ونحن عندما نفعل هذا فيجب أن نتذكر أننا لسنا وحدنا الذين يواجهون مثل هذه التحديات . فما من أمة أو دولة مهما كبر شأنها أو صلحت أحوالها في أي وقت أو مكان إلا وكان لها مشاكلها وهمومها الخاصة بها . كما يجب أن لا ننسى ونحن

نقف إزاء هذه المسائل التي تستـرعي اهتـمـامنا أننا لسنا خلو اليـدين . فنحن ننعم بمقـومـات هامـة وكـثـيـرة تؤهلنا للاستمرار في إكمال مسيرة البناء والنمو التي بدأناها . فعدا الأمور المادية المنظورة المتمثلة في أشكال البنية التحتية التي أصـبـحنا نحظى بهـا ، وعـدا الثـروات الطبيعية التي مازلنا نملكها ، فإننا أيضا نعـيش في مـجـتـمع توثقت عـرى الروابط بين أجزائه وننعم بالاستقرار والأمن الذي لا يمكن لأي تـقدم أو بنا ء أن يحدث في غيابه ولدينا جيل متعلم مهيؤ لمتطلبات مسـتـقـبله . ومن لا يرى أهـمـيـة هذه المقومات فليتأمل فيما أدى إليه غيابها حـتى في الدول التي توفـرت فـيـهـا الثروات الطبيعية .

قـد تبـدو بعض هذه المواضـيع دخـيلة على هذه الكتابة التي زاملت الركائب وجلست في بيـوت الشـعـر وعـشـقت سكون القـفـر فـأخذت لونا وجدانيـا أو كـادت أن تفـعـل . ولكن مـا عـسى للمشاهد الذى أحب هذه البيداء وأهلها أن يقول .

أولوية التسمية بالشعر العامي

أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري

صار الاصطلاح على هذا الشعر العامي قضية ذات معركة أدبية ألخص لكم ذيولها ابتداء بنص الأستاذ عبدالله بن خالد الحاتم .. قال : « وأما هذه التسمية فإنها على ما يظهر لم تحدث إلا قبل ست مئة عام تقريباً ، بدليل أن ابن خلدون في كلامه عن هذا الشعر وتبسطه فيه لم يذكر هذه التسمية مطلقاً مع أنه لم يترك شاردة ولا واردة إلا أتى بها في هذا الباب » [1] .

قال أبو عبدالرحمن : إن صح منطقاً أن إهمال ابن خلدون لهذه التسمية يعني أنها غير موجودة في عهده وقبل عهده : فمعنى ذلك أنها لم تستعمل إلى عهد ابن خلدون .

ولكن أين الدليل على أنها استعملت بُعيد ابن خلدون ؟ .. أي أين هو الدليل على أنها استعملت منذ ست مئة عام ؟ .

وقال ابن حاتم : « وقد قيل إنها منسوبة إلى جيل أقبلوا من بلاد فارس ونزلوا بالبطائح يعرفون بالأنباط .

ويوجد قوم من قبيلة سبيع في نجد يعرفون بهذا الاسم ، وقد يجوز أن هذه التسمية نسبت إليهم .

وكذلك يوجد واد بناحية المدينة قرب حوراء يسمى نبطاً ، لأن به معدن البرام والنبطا » [2] .

وجاء بعده الأستاذ عبدالله بن خميس فتوسع في بيان معاني مادة نبط [3] .

---

(١) خيار ما يلتقط ١/٨ .. وانظر بحثاً ممتعاً عن النبطية والأنباط ، ومناقشة تسمية هذا الشعر نبطياً بكتاب الشعر النبطي في منطقة الخليج ٢/١٠٥ ـ ١٢٤ .

(٢) خيار ما يلتقط ١/٨ .

(٣) الأدب الشعبي ص ٣٦ ـ ٤٠ .

قال أبو عبدالرحمن : الأنباط أمة ظهر منها اللحن وفساد اللغة منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكانت النبطية عند اللغويين مرادفة للعامية .

وهذا سبب راجح كاف في تسمية هذا الشعر الذي فسدت لغته شعراً نبطياً.. وهو دليل على صحة التسمية ، ولكن غيرها أصح وأرجح ، وهو التسمية بالعامي .

وقد ألف الأستاذ صادق محمد أحمد بخيت كتيباً اسمه (الأنباط والشعر النبطي في مدخل تاريخي موجز) وهو كتيب لا غبار عليه من ناحية التعريف بالأنباط ، والتفريق بين الأنباط العرب الذين عاصمتهم البتراء وبين غيرهم من أنباط غير عرب سكنوا سواد العراق .. كل هذا لا غبار عليه ، ولكنه يدخل في ميتا فيزيقية حينما يقرن بين الأنباط العرب وبين هذا الشعر العامي الذي نتحدث عنه .. إلى أن ينتهي إلى دعاوى تاريخية عريضة عارية من البرهان فيقول جازماً بدون استثناء : « إن هذا الشعر النبطي العامي غير الفصيح لم يعرف إلا بين الأنباط بالذات ، وبين من يعتبرون من سلالتهم العربية فعلاً » [(٤)] .

ويقول : « ومما اشتهروا به الشعر النبطي وهو شعر عامي ، لأنه وجد قبل الفصحى بزمن طويل ، وشعرهم النبطي هذا هو أقدم شعر أو لون أدبي وصل إلينا ، وهو قبل الفصحى بكثير ، إذ أن الفصحى استقرت بحوالي قرنين فقط من الزمن قبل الإسلام » [(٥)] .

وما مر سماه حقائق بنى عليها بقوله : « كل هذه الملاحظات والحقائق المار ذكرها تؤكد أن الشعر النبطي هو شعر الأنباط العرب ، وتوارثه خلفاؤهم فيما

(٤) الأنباط ص ٢٩ ـ ٣٠ .

(٥) الأنباط ص ٣٠ .

بعد جيلاً بعد جيل دون تعديل أو تطوير أو تحرير ، وبقي كما هو عامياً حتى أيامنا هذه ، وظل مزدهراً منذ ذلك الوقت .. » [٦] .

قال أبو عبدالرحمن : في هذا وجوه من التسامح العلمي :

أولها : دعوى أن هذا الشعر النبطي هو أقدم شعر وصل إلينا قبل قرنين قبل الإسلام ؟ .

قال أبو عبدالرحمن : لا نعرف شعراً عامياً سمي نبطياً مما وصل إلينا تجاوز القرن التاسع الهجري ، ولا نعرف شعراً عامياً سمي هلالياً أو بدوياً أو قيسياً أو أصمعياً مما وصل إلينا تجاوز القرن السادس .

ولانعرف زجلاً عامياً وصل إلينا تجاوز القرن الثالث ، فقد روي أن الخليفة المعتصم بن الرشيد فى أول القرن الثالث للهجرة طلب كلب صيد من قائده التركي أشناس ، فأرسل إليه كلباً أعرج فرده المعتصم إليه .. وكان أشناس لا يعلم أن الكلب أعرج ، وظن أن العرج أصابه عند الخليفة ، فكتب أشناس هذا الشعر العامي :

الكلب أخذتُ جيد مكسور رجل جبتُ
رد جيد كلب كما كنت أخذتُ

فأجاب الخليفة بقوله :

الكلب كان يعرج يوم الذي به بعثتُ
لو كان جاء مجبر أجبر رجل كلب أنتُ [٧]

قال أبو عبدالرحمن : إن صحت هذه الحادثة فهي دليل على أن ظروف

(٦) الأنباط ص ٣١ .

(٧) الأدب الشعبي في تونس ص٥٣ .

نشأة الشعر العامي وجدت في وقت مبكر، بيد أن العرب أبوا إحياء الشعر العامي وإن تهيأت ظروفه ؛ لنبوّ ذوقهم عن ذلك ، ولحميتهم لأدبهم الفصيح .

ولا ريب أن المعتصم حاكى هذين البيتين مداعباً غير راغب لإحياء هذا الأدب العامي .

ومن المستحيل عقلاً ـ بموجب العادة ـ أن يوجد أدب عامي منذ القرن الثالث ثم لا نجد منه غير هذين البيتين !.. ويضاف إلى هذين البيتين بيتان آخران من عامية أهل الموصل كان يغنيهما الموسيقار إبراهيم الموصلي :

أنا جت من طرف موصل أحمل قلل خمريا
من شارب الملوك فلابد من سكريا (٨)

قال أبو عبدالرحمن : إذن نقول للأستاذ صادق محمد : أين هو الشعر النبطي العامي الذي وصل إلينا قبل قرنين قبل الهجرة ؟ .

وثانيها : زعمه أن الشعر النبطي العامي لم يعرف إلا بين عرب الأنباط .

قال أبو عبدالرحمن : لا نعرف في جميع أنواع الشعر العامي بيتاً واحداً نص التاريخ على أنه من نظم عرب الأنباط .

وثالثها : زعمه أن هذا الشعر العامي وجد فيما بعد بين سلالة عرب الأنباط .

قال أبو عبدالرحمن : من هم سلالة عرب الأنباط ؟! .. لسنا نعرف بين قبائل العرب من ينتسب إلى أولئك الأنباط .

وإنما هاهنا قبيلة عدنانية اسمها النبطة من بني عمرو من سبيع ، ومن شعرائهم بالعامية غريب النبطي الذي يقول :

قال النبيطي والنبيطي غريب
نفس الفتى تزهيدها ما يثيبها (٩)

(٨) فقه اللغة المقارن للدكتور إبراهيم السامرائي ص ٢٣٥ عن الأغاني لأبي الفرج ٥/١٥٦ دار الكتب .

(٩) من آدابنا الشعبية لمنديل ١/٢٤١ .

ورابعها : نسبة هذا الشعر إلى عرب الأنباط ، وهذا زعم لا احتمال فيه ولو بوساوس الظنون .

والراجح أن النسبة إلى أنباط السواد لا لأنهم أول من نظمه ، وإنما لأنهم يلحنون في لغتهم ، واللغويون يصفون ذا اللحن بالنبطية .. قال الدكتور شفيق الكمالي : « ومن الطبيعي أن هذه التسمية لا تعني أن الأنباط هم أول من قرضه ، وإنما تدل على فساد لغتهم ومجانبتها اللغة الفصحى بحيث أصبحت تحاكي لغة النبط .. ولغة النبط المثل في البعد عن الفصاحة ، وعليه فقولهم : شعر نبطي : إنما يريدون به أنه جاء في بعده عن الفصاحة كلغة النبط في بعدها عنها »[10] .

قال أبو عبدالرحمن : إن تسمية هذا الشعر العامي بالشعر النبطي تسمية جائزة لأن نبطياً تساوي عامياً .

وهذا الترادف بين عامي ونبطي سبب متعين لإطلاق نبطي على الشعر العامي .. وهذا على سبيل الصحة لا الترجيح .. بل هناك ماهو أولى وأرجح من هذه التسمية ، وهو العامي .

وقال ابن حاتم : « الشعر النبطي كان يسمى الشعر البدوي أو الشعر الحوراني نسبة إلى حوران »[11] .

قال أبو عبدالرحمن : الشعر الحوراني مصطلح لشعر عامي ذكره ابن خلدون ، ولكن لم نجد أنه اسم للشعر العامي المعروف بلهجة أهل نجد .

وهكذا نقول بالنسبة للتسميات الأخرى التي ذكرها ابن خلدون وهي : الأصمعيات ، والبدوي ، والقيسي[12] .

---

(١٠) الشعر عند البدو ص ٦٧ ــ ٦٨ ، وجاء بشواهد من الشعر في هجاء المستنبطين إلا أنه هجاء يتعلق بضياع النسب لا بفساد اللغة .

(١١) خيار ما يلتقط ١/٨ .

(١٢) انظر مقدمة ابن خلدون ص ١١٢٥ .

وقال ابن بليهد : « يعلم قارىء هذا الكتاب أني قد استشهدت بأبيات من الشعر النبطي في ذكر بعض المعارك ، وهي أشعار مستقيمة الوزن كالأشعار العربية ، فأهل الأشعار العربية عرب على فطرتهم ، وهؤلاء ـ أعني أهل الأشعار النبطية ـ عرب على فطرتهم .. حذوا في كلامهم حذو قوم من أهل البادية كانوا يعيشون كما يعيش العرب في بواديهم ، وأصل مساكنهم البطائح التي بين العراقين (العراق العربي ، والعراق العجمي) ، وقد كانوا معروفين باسم النبيط أو النبط منذ العصر الجاهلي إلى اليوم ، وقد جاء في شعر الأعشى ميمون بن قيس :

وطوفت للمال آفاقه
عمان فحمص فأوريشلم
أتيت النجاشي في داره
وأرض النبيط وأرض العجم

ويروى عن ابن القرية ـ وهو من رجال العصر الأموي ، وكان في زمن ولاية الحجاج على العراق ـ أنه كان يقول : أهل عمان عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا وقد قال أبو العلاء المعري في إحدى لزومياته :

أين امرؤ القيس والعذارى
إذ مال من تحته الغبيط
استعجم العرب في الموامي
بعدك واستعرب النبيط

وهو يشير في بيته الأول من هذين البيتين إلى قول امرىء القيس بن حجر الكندى في معلقته :

ويوم عقرت للعذارى مطيتي
فيا عجباً من كورها المتحمل
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

وإذا قد عرفت أن طريقة الحياة عند النبط هي طريقة الحياة عند العرب : فلا عجب أن تجد توافقاً عظيماً في المعاني التي يذكرها هؤلاء فيما يتغنون به من أشعارهم ، ولا عجب أن تجد هؤلاء النبيط يلتزمون الأوزان في حدائهم وأشعارهم كما يلتزمها العرب وإن اختلفت الأوزان بعض الاختلاف ، فليس في ذلك من عجب .. وكما اختلفت ألفاظهم وعباراتهم ولهجاتهم فإن أوزانهم تختلف ، وقد تتفق ألفاظهم بعض الاتفاق وقد تتفق أوزانهم بعض الاتفاق .. ثم اختلط هؤلاء بالعرب في بواديهم بحكم الفرار من الحروب ، وزارهم في بلادهم عرب من خلص العرب ، فانتقل إلى هؤلاء العرب شيء من لسانهم وطريقهم في التحدث عما في أنفسهم من خوالج ، فكان في أثر ذلك أن انتقل إلى كثير من العرب في نجد وغير نجد من بلاد العرب أسلوبهم في الشعر فقالوا على مثاله »(١٣) .

قال أبو عبدالرحمن : هذا النص الطويل ضلل الأستاذ عبدالله بن خميس في الفصل الذي عقده عن أصل نبط (١٤) .

وقد أسلفت أنه لا علاقة لهذا الشعر العامي بالأنباط وهم جنس سامٍ من بقايا الآراميين ، وذلك خلال ردي على صادق محمد ، وإنما العلاقة التشبيه بلغتهم في اللحن .. وقبل ابن بليهد الشيخ ابن بشر سمى هذا الشعر نبطياً (١٥) .

قال أبو عبدالرحمن : وتعقب الدكتور عبدالرحمن بن سعد العثمان حديثي عن تسمية الشعر العامي (١٦) ، وعن أوزان الشعر العامي بتعليقات أفسح المجال هاهنا لمطارحتها لتحقيق أمر ضروري في حياة أهل الصحافة العلمية ، وذلك هو الحرص على منطق الحوار والارتباط بالموضوع حتى لا يتيه الجمهور المتلقي في خضم المغالطات وسوء الفهم .

(١٣) صحيح الأخبار ١٨٩/٢ .
(١٤) انظر الأدب الشعبي ص٣٦ ـ ٤٠ وهو بحث جانبي عن أمة الأنباط ، وليس فيه أدنى رابط بين هذا الأدب العامي وأمة الأنباط ولو ببرهان تخييلي إقناعي .
(١٥) عنوان المجد ١٣٠/٢ .
(١٦) مجلة اليمامة العدد ١٣٠٢ في ١٤١٤/١١/٩هـ ص ٧٠ ، والعدد ١٢٩٩ في ١٤١٤/١٠/١٨هـ عن جريدة الشرق الأوسط عدد ٥٥٨٦ في ١٤١٤/٨/٦هـ

فمما قاله الدكتور عبدالرحمن :

« إطلاق الخطأ على شيء فيه خلاف أو اجتهاد غير مقبول » .

قال أبو عبدالرحمن : هذا كلام غير متصور في الواقع ، لأن إطلاق الصواب أو الخطأ إنما يكون حكماً من الباحث فيما اختلف الناس فيه إذا ظهر له الحق بيقين أو رجحان .

وما سوى ذلك حسبانية مذمومة ، ولا يمكن أن تكون كل الأقوال المختلف فيها صحيحة ، بل الإصابة في قول واحد.

وانتهى الدكتور عبدالرحمن : إلى أن تسمية الشعر العامي شعراً شعبياً تسمية غير خاطئة ، وحجته أن الشعر العامي سمي شعبياً نسبة إلى الشعب الذي ينطق اللهجة العامية الخاصة به .

قال أبو عبدالرحمن : في هذا غفلات :

أولها : أن محل النزاع عن المصطلح المناسب ، والاصطلاح تسمية عن تواضع .

والشيء لا يسمى بمجرد خصيصة تكون فيه دائماً أو أحياناً ، لأن عدداً من الأشياء قد يشترك في خصصية واحدة ، وإنما العبرة بالخصيصة التي تميزه عن غيره.. والشعبية لا تميز الشعر العامي عن الشعر الفصيح .

وثانيها : أن ما قاله الدكتور تفسير لوجه التسمية ، وهذا لا يكفي ، بل لابد من برهان على ترجيح التسمية .

إن تفسير وجه التسمية إيضاح لمراد المتكلم ، ولكن لابد من برهان على أن مراد المتكلم صواب راجح .

وثالثها : أن الشعبية ليست خصيصة ذاتية دائمة في شعر أمة من الأمم . بل في الشعر شعبي وذاتي .

وإنما توصف قصيدة بأنها شعبية ، ويوصف شاعر بأنه شعبي ـ سواء كان عجمياً أم عربياً .. فصيحاً أم عامياً .. بدوياً أم حضرياً ـ لأنه كان يستقطب الجمهور من الأمة لكونه يعبر عن الهموم المشتركة ، أو لكونه يعبر عن هموم بيئية ، أو لكونه يرضي ذوق الدهماء .. والدهماء في العادة أقل مواهب وثقافة من الطبقات الخاصة .. فتكون الشعبية أحياناً بمعنى الأمية .

وقد رأيت الدكتور زكي نجيب محمود إذا لم يعجبه أحد من ذوي الشيوع الصحفي أو التلفازي وصفه بالشعبية .. سمعته يصف الشيخ الشعراوي ، وأنور الجندي ، والدكتور مصطفى محمود بذلك .

وبهذا يكون أبو دلامة وحميدان الشويعر وبيرم التونسي شعراء شعبيين .

ولا يكون عمر بن أبي ربيعة والعباس بن الأحنف صاحب فوز وأبو العلاء المعري شعراء شعبيين .

ورابعها : أنه ليس كل الشعب ينطق بالعامية .

ومما قرره الدكتور أن الشاعر الشعبي ينحت كلمات أبيات شعره من وحي بيئته ومجتمعه .

قال أبو عبدالرحمن : الشاعر الشعبي والشاعر الذاتي لا ينحتان اللغة ولا يصنعانها ، بل يرثانها تربية وتعلماً وسماعاً وممارسة .

واللغة أداة تعبير مشتركة لا يعني التعبير بها الشعبية ، لأن ذا البرج العاجي يعبر بلغة الشعبي ، وإنما الشعبية فيما يستقطب السواد الأعظم من الآمال والآلام .. وأتحفنا الدكتور بأن الشعر النبطي من نبط الماء !! .

قال أبو عبدالرحمن : هذا معنى لغوي ، وأما الاصطلاح فمأخوذ من أمة النبط لفساد لغتها .

كما أن تعليل التسمية غير البرهنة على صحتها ورجحانها .

وأتحفنا الدكتور بأنه لم يجد مرجعاً سمى الشعر العامي بدوياً .

قال أبو عبدالرحمن : هذا عدم علم، وليس علماً بالعدم .

وذكر الدكتور كلاماً لم أعرف له وجهاً ، فقال : « العالم الجليل والأديب ذو الباع الطويل في العلم والمعرفة من واجبه توخي الدقة والصواب ، فقد ذكر الشيخ أبو عبدالرحمن بعض تفاعيل الخليل مبتدئاً بالتفعلية (فاعلاتن) والتي تبدأ بسبب خفيف .. والأصل في تفاعيل الخليل بن أحمد أن أولها مبدوء بوتد مجموع أي (فعولن) لأن العالم الخليل بن أحمد أن أولها مبدوء بوتد مجموع أي (فعولن) لأن العالم الجليل الخليل بن أحمد يرحمه الله قد استوحى تفاعيله من التنعيم المبدوءة بوتد مجموع

(نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا) .

ولوكان ذلك من غير أبي عبدالرحمن لكان مقبولاً .. أما منه ومن أمثاله من العلماء فغير مستساغ أثابه الله» .

قال أبو عبدالرحمن : هاهنا عجائب :

أولها : أنني لم أذكر أول تفاعيل الخليل ، ولم أذكر آخرها ، وإنما ذكرت وزناً عامياً ليس في عروض الخليل هو بحر أحد أدوار الهجيني : فاعلاتن — فعولن ـ فاعلاتن ـ فعولن .

وثانيها : لا معنى البتة لكلمة الأصل في تفاعيل الخليل فعولن — أو فاعلاتن ، ولم يقل عالم ولا جاهل بذلك ، بل لكل لحن وزنه .

وأصل الوزن البنى ـ جمع بنية .

مثل :

/ ٥ ـ //٥ ـ ///٥ ـ /٥/ .

وثالثها : التنعيم وزن لأحد الألحان، وكان يتعلمه الصبيان قبل الخليل.

والخليل أخذ الوزن من الألحان الغنائية التي عايشها كما برهنت على ذلك في السفر الأول من كتابي عن أوزان الشعر العامي وألحانه .

وقال الدكتور : « نحن نقول شاعر شعبي وشاعر نبطي .. أما شاعر عامي فلا يستحسن أن نقولها ؛ لأن كلمة عامي توحي بالأمية أو الجهل .

فإذن كلمة عامي تطلق على الشعر فقط .. أي الشعر العامي لأن من يقرض هذا النوع من الشعر فيهم الأمي والجاهل والمتعلم والعالم الذي يحمل الشهادات العالية .

أما تسمية هذا النوع من الشعر بالشعر العامي فلأنه مكون من كلمات عامية وينطق باللهجة العامية » .

قال أبو عبدالرحمن : العامية هي التي تميز هذا الشعر الملحون في المنطقة الوسطى أيام الأمية ، وأصح المصطلحات ما ارتبط بالخصيصة المميزة .

والعامية يوصف بها الشعر والنثر معاً إذا كانا عاميين ، والأمية والجهل صفات أغلبية لشعراء العامية وجيلهم لقلة أهل القلم بينهم .

إلا أن العامية لا تعني الأمية والجهل ، وإنما هي مصطلح على لغة عربية لبست على قواعد الفصحى مفردة وتركيباً

ولا يكون الكلام فصيحاً بكلمات فصيحة فيه ، وإنما يكون فصيحاً إذا خلي من العامية .

وإذا تكلم سحبان وائل بالعامية أو طه حسين بالعامية أصبح الكلام عامياً ، وأصبح سحبان سحبان كما هو ، فكان فصيحاً تكلم بالعامي ، وأصبح طه حسين كما هو عميد الأدب تكلم بالعامية غير عاجز عن الفصحى .

ويوصف الشاعر الفصيح بأنه شاعر عامي إذا قال شعراً عامياً .. فالوصف عرضي في الشاعر لزومي في الكلام .

قال أبو عبدالرحمن : فرح بعضهم بإطلاق الشيخ ابن بليهد كلمة نبطي عرفاً على الشعر العامي بلهجة أهل نجد ليثبت أنه سبق بذلك الأستاذ خالد الفرج [(١٧)] .

ولقد استعمل هذا الاصطلاح الشيخ ابن بشر فقال عن الإمام فيصل بن تركي : « وقد مدح بقصائد عديدة ومناظيم فريدة على لفظ العرب ولفظ النبط » [(١٨)] .

وقد ذكر ابن سحمان المتوفي سنة ١٣٤٩هـ أن الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود كلفه بوضع قصيدة نبطية قيلت فيه على اللسان العربي ، فحولها ابن سحمان إلى الفصحى ، ومطلعها :

أأشجاك أم أبكاك رسم المنازل
لذكراك فيها كل هيفاء خاذل

ويريد بالقصيدة النبطية لامية لسليم بن عبدالحي مطلعها .

تفكرت بالدنيا ولا بالفكر جالي
ولا انا باول من تفكر ولا تالي

---

(١٧) في جريدة الجزيرة العدد ٧٠٤٥ في ١٤١٢/٧/٨هـ ص ١٨ أن ابن بليهد وصف هذا الشعر العامي بأنه نبطي قبل نشر صحيح الأخبار بسبع سنوات في إحدى الصحف .

(١٨) عنوان المجد ٢٢٦/٢ .

قال أبو عبدالرحمن : سلف لي أن أقمت البراهين على أن العامي هو الوصف الصحيح للشعر العربي النجدي غير الفصيح ، وبينت أن الوصف بالنبطي ليس أولى بالتسمية ، وأن مآل الوصف بالنبطي إلى الوصف بالعامي ، لأن العرب اعتادوا على وصف العامي بالنبطي .

ولا يزال الخلاف في التسمية قائماً [19] رغم تعيُّن الوصف بالعامي ؛ ليكون أولى بالتسمية .

وأما الأوصاف الأخرى فمنها ما يشمل العامي وغيره كالوصف بالشعبي .

ومنها ما يشمل بعض العامي وبعض الفصيح ويقصر عن بعض العامي كالوصف بالبدوي .. ومنها مالم يصح في مراعاة الوصف به إلا معنى العامية وهو النبطي .

قال أبو عبدالرحمن : إنما يميز هذا الشعر لغته ، وهي لغة عامية ، والعامية أعم من اللحن ، وأحق الأوصاف بالشيوع ما ميز الشيء عن غيره ، ولا شيء يميز هذا الشعر في بلاده عما سبقه من شعر فصيح غير العامية .

وكتبه لكم :

أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

ـ عفا الله عنه ـ

(١٩) هناك بحوث عن الخلاف في التسمية لا جديد فيها على ماتناوله كبحث رويكس بن زايد العزيزي باليمامة العدد ١٠١٢ ص ٦٥ ـ ٦٦ ، وقد سبق له نشر ذلك في أحد كتبه .

الآليات التنموية
ودورها في التنمية الاقتصادية الدولية

د . ابراهيم عبدالله المطرف

المقدمه

لقد أصبح لموضوع العلاقات الاقتصادية الدولية أهمية خاصة في عصرنا الحالي حيث بات واضحاً رغبة أعضاء المجتمع الدولي في استخدام هذه العلاقات كأداة يتم عن طريقها تنظيم وتطوير العلاقات الاقتصادية رغبة في رخاء اقتصادي دولي ، من خلال تبادل تجاري خارجي مثمر وأنظمة نقدية عادلة تؤدي إلى استقرار اقتصادي دولي .

ولقد نتج عن هذه الرغبة الدولية المتمثلة في تنظيم وتطوير العلاقات الاقتصادية خلق العديد من المنظمات الدولية والإقليمية والوكالات المتخصصة والتكتلات الاقتصادية والاتفاقات الاقتصادية والتجارية الثنائية والتعاون الاستثماري إضافة إلى اللجان الاقتصادية المشتركة .

وسوف نقوم في الجزء التالي بتقديم شرح لبعض الآليات الاقتصادية والدولية الاقليمية بدءاً بهيئة الأمم المتحدة ومجلسها الاقتصادي والاجتماعي وبعض منظماتها ووكالاتها المتخصصة كمنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية ومؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية والبنك الدولي ، صندوق النقد الدولي وهيئة التنمية الدولية والبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة .

هيئة الأمم المتحدة

جاءت هذه المنظمة إلى حيز الوجود في أكتوبر ١٩٤٥م ، بعد فشل « عصبة الأمم » في القيام بالمهام التى أوكلت إليها عند قيامها في عام ١٩١٩م ، جاءت لتعمل على تثبيت السلام والأمن والاستقرار الدولي وتحقق مستويات اقتصادية واجتماعية تنموية متطورة .

وقد نصت المادة الخامسة والخمسون من ميثاقها على أنه : [١] .. من أجل خلق شروط الاستقرار والوجود الكريم الضروريين ، ومن أجل ضمان علاقات سليمة وودية بين الأمم ، قائمة على احترام مبدأ مساوات حقوق الشعوب ، وإرادتها بتقرير مصيرها ، فإن الأمم المتحدة تشجع :

أ) رفع مستويات الحياة ، والعمل، وشروط التقدم والتنمية في النظام الاقتصادي والاجتماعي .

ب) حل المشاكل الدولية في الميادين الاقتصادية ، والاجتماعية ، والصحة العامة ، والمشاكل الأخرى الملحقة ، والتعاون العالمي في ميادين الثقافة الفكرية والتربوية .

جـ) الاحترام الشامل والفعلى لحقوق الإنسان ، والحريات العامة للجميع .

ولقد حُددت أهداف هيئة الأمم المتحدة في أربعة أهداف تبرز دور الهيئة في المحافظة على السلام وتنمية العلاقات وتحقيق التعاون والإشراف على بلوغ الأهداف مجتمعة ، والأهداف الأربعة هي : [٢]

١ ـ المحافظة على السلام والأمن الدوليين من خلال معايير جماعية فعالة ومن خلال معاهدات سلام لفض المنازعات .

٢ ـ تنمية العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام مبدأ الحقوق المتساوية وتقرير الشعوب لمصيرها .

٣ ـ تحقيق مبدأ التعاون في حل المشكلات الإنسانية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في العالم .

٤ ـ أن تكون الهيئة مركز تنسيق

لجهود الدول من أجل بلوغ هذه الأهداف .

ويتضح هنا التزام الأمم المتحدة بالعمل على تحقيق مبدأ التعاون الاقتصادية بين أعضاء المجتمع الدولي دولاً ومنظمات ومؤسسات إقليمية ودولية .

ولكي تؤدي الأمم المتحدة دورها في تحقيق الهدف الثالث الذي نص عليه الميثاق والمتعلق بحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، فقد كونت الهيئة « المجلس الاقتصادي والاجتماعي » ليساعد على تحقيق مبدأ التعاون ويسعى إلى حل المشكلات وذلك رغبة في بناء مجتمعات اقتصادية واجتماعية مستقرة .

ولقد شهدت بداية الستينات ، بالإضافة إلى تصدي هيئة الأمم المتحدة لمسألة القضاء على الاستعمار السياسي في العالم خاصة في قارتي آسيا وإفريقيا ، ولادة أول قانون دولي للتنمية من خلال إعلان « حق » الدول الفقيرة في التنمية ، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال بعض مصادر عن هيئة الأمم المتحدة من إعلانات ونصوص دولية حول ذلك ، ومنها : [٣]

- الإعلان المتعلق بالسيادة الدائمة على الموارد الطبيعية (١٩٦٢م) .

- ميثاق الحقوق الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية (١٩٦٦) .

- الإعلان حول التقدم والتنمية في الميدان الاجتماعي (١٩٦٩) .

- الاستراتيجية العالمية للتنمية (١٩٧٠) والتي ترتكز على ثلاثة مبادىء أساسية ، هي :

١ - مبدأ المسئولية الوطنية على صعيد التنمية ، إذ من حق كل شعب دفع تنميته الذاتية وتحديد أهدافها بكل حرية .

٢ - مبدأ المسئولية الجماعية العالمية : « على الجماعة العالمية كلها الاهتمام بالتقدم الاجتماعي ، وبالتنمية الاجتماعية ، وعليها أن تكمل بعمل دولي الجهود المبذولة على الصعيد الوطني لرفع مستوى حياة الشعوب .

٣ - مبدأ مسئولية الدول الصناعية : فالدول المتطورة لا تنكر أبدا واجب العون والمساعدة المعنوية التي

عليها القيام بها تجاه الدول السائرة في طريق النمو ، إلا أنها ترفض مع ذلك أن تجعل منه واجباً قانونياً .

وللقيام بدوره الهام في دعم التعاون الاقتصادي الدولي قام المجلس الاقتصادي والاجتماعي بإيجاد مؤسسات العمل الدولية لتقوم بتنسيق التعاون الاقتصادي بين الدول والاقاليم المختلفة للوصول لمرحلة متطورة من الاقتصادي العالمي . إضافة لهذه المؤسسات والمنظمات الدولية قام المجلس بتشكيل خمس لجان اقتصادية إقليمية للإشراف على التعاون الاقتصادي في أقاليم مختلفة في العالم ، هي :

- اللجنة الاقتصادية الأوربية .
- اللجنة الاقتصادية لآسيا والشرق الأقصى .
- اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية .
- اللجنة الاقتصادية الافريقية .
- اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا .

وفيما يلي شرح موجز لدور بعض هذه المنظمات والوكالات الاقتصادية والمالية المتخصصة في التعاون الاقتصادي الدولي :

ا) الوكالات المتخصصة :

عندما أنشئت هيئة الأمم المتحدة في ١٤ أكتوبر ١٩٤٥م ، حدد ميثاقها الأهداف التي أوجدت هذه الهيئة الدولية من أجلها ، وجاء من بين الأهداف الرئيسة لها :

« تحقيق التعاون على حل المشكلات الدولية ذات الصبغة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الإنسانية ... » .

ومن هذا يتضح أن إنشاء هذه الهيئة الدولية لم يأت رغبة في تحقيق أهداف معينة دون أخرى ، ولكن أهدافها امتدت لتشمل مختلف مجالات التعاون الممكن دعمها وتطويرها وجعلها واقعاً . لقد خططت المجموعة التي وضعت ميثاق الأمم المتحدة إلى هيئة كاملة الإعداد تشمل في عملها فض المنازعات الدولية بالوسائل السلمية

مقاومة الأعمال العدوانية وإزالة أسباب الحروب، احترام الحريات الأساسية للإنسان وحقوقها إضافة إلى العمل على توفير الرقي الاقتصادي والاجتماعي الأفضل لشعوب العالم. ويأتي ذلك إدراكا للأهمية المترابطة بين هذه المجالات المختلفة، السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي منها.

وقد التزمت دول العالم المحبة للسلام بميثاق الأمم المتحدة وأولت على نفسها الالتزام به حيث نصت المادة (٥٦) من الميثاق على أن:

« يتعهد جميع الأعضاء بأن يقوموا منفردين أو مشتركين بما يجب عليهم من عمل، بالتعاون مع الهيئة، لادراك المقاصد المنصوص عليها في المادة الخامسة والخمسين ».

ورغبة في تهيئة دواعي الاستقرار والرفاهية الضروريين لقيام علاقات سليمة وودية بين الأمم، مؤسسة على احترام المبدأ الذي يقضي بالتساوي في الحقوق وبين الشعوب، وبأن يكون كل منها حق تقرير مصيرها، عملت الأمم المتحدة على: [٤]

أ) تحقيق مستوى أعلى للمعيشة والنهوض بعوامل التطور والتقدم الاقتصادي والاجتماعي.

ب) تيسير الحلول للمشاكل الدولية، الاقتصادية والاجتماعية والصحية، وما يتصل بها، وتعزيز التعاون الدولي في أمور الثقافة والتعليم.

جـ) أن يشيع في العالم احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع بلا تمييز.

لقد انطلقت الأمم المتحدة في سبيل التنمية الاقتصادية الدولية من خلال وسائل مختلفة هي: « نقل المهارات واكتشاف مصادر الثروات الطبيعية وتشجيع التنمية الصناعية وتنشيط التنمية عن طريق المعونات الغذائية وتحسين مستوى الإنتاج الزراعي واستخدام التجارة الدولية كأداة لتحقيق التنمية واستخدام الطاقة الذرية في مجالات الانتاج السلعي والخدمي وتسهيل تمويل عمليات التنمية ودعم وتقويم العلاقات الاقتصادية العالمية » [٥] وتشكل هذه النقاط مجتمعة المهام

الاقتصادية لهيئة الأمم المتحدة .

بدأت الأمم المتحدة برامجها الإنمائية بعد فترة قصيرة من إنشائها ، ففى عام ١٩٤٨م بعد إنشاء المنظمة بثلاث سنوات أقرت الأمم المتحدة برنامجها الموسع للمعونة الفنية . وفي عام ١٩٥٨م ، تم إنشاء « صندوق الأمم المتحدة الخاص » لتمويل الاستثمارات والذي أضاف بعداً جديداً ومترابطا مع برنامج المعونة الفنية الموسع . أما الستينات ، فقد شهدت تطوراً هاماً في تاريخ التنمية الاقتصادية للدول النامية حيث تبنت الجمعية العام للأمم المتحدة القرار رقم ١٥١ والذي أعلن فيه أن « أولى واجبات الأمم المتحدة هي دفع عجلة التقدم الاقتصادي والاجتماعي في البلدان النامية » (٦) .

كما شهدت الستينات أيضاً عام ١٩٦١م تبنى الأمم المتحدة بالقرار رقم ١٧١٠ « عقد الأمم المتحدة من أجل التنمية » وذلك للفترة ١٩٦٠ حتى ١٩٧٠ . وقد دُعم ذلك بإنشاء « مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية » عام ١٩٦٤م ، « ومنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية » عام ١٩٦٥م ، إضافة إلى دمج برنامجي المعونة الفنية (١٩٤٨) والصندوق الخاص (١٩٥٨) في برنامج واحد أطلق عليه « برنامج الأمم المتحدة الانمائى » وذلك عام ١٩٦٥م .

أما في السبعينات ، فقد تبنت الأمم المتحدة بقرارها رقم ٢٦٢٦ عام ١٩٧٠ ، ما أطلق عليه « العقد الثاني للتنمية الدولية » والذي تم الاتفاق على الاستراتيجية الخاصة به بعد عمل مركز لبضع سنوات رغبة في الوصول إلى نتائج أفضل من تلك التي شكلت حصيلة العقد الأول للتنمية (١٩٦٠ ـ ١٩٧٠) .

وفي سبتمبر ١٩٧٥عقدت الجمعية العامة دورتها الخاصة وذلك لمناقشة موضوع التنمية والتعاون الاقتصادي العالمي . كما عقدت الأمم المتحدة دورة خاصة لجمعيتها العامةَ لمناقشة المشكلات الاقتصادية الدولية وأقرت استراتيجية التنمية الدولية الجديدة للعقد الثالث للتنمية (١٩٨٠ ـ ١٩٩٠) .

إضافة إلى ذلك ، فقد استمرت الأمم المتحدة من خلال أجهزتها الفرعية ووكالاتها المتخصصة على تدعيم وتعزيز

التنمية الاقتصادية الدولية تحت إشراف المجلس الاقتصادي والاجتماعي .

وفيما يلي شرح لدور هيئة الأمم المتحدة في التنمية الاقتصادية الدولية وذلك من خلال تفصيل موجز لبرامجها الإنمائية التي تم عن طريقها تحقيق الأهداف والمهام التنموية الاقتصادية للأمم المتحدة .

البرنامج الموسع للمعونة الفنية :

بدأت الأمم المتحدة في عام ١٩٤٩ برنامجا متواضعاً مابات أن توسع في عام ١٩٥٠ ليشمل ثلاثة أنواع رئيسة من المعونة الفنية تمثلت في : [٧] .

أ ـ إرسال الخبراء الفنيين المؤهلين إلى البلدان النامية بناء على طلبها لتقديم المشورة للحكومات وتدريب الموظفين المحليين في مجالات واسعة من التنمية الاقتصادية .

ب ـ تقديم هبات أو منح دراسية لتمكين رعايا البلدان المتخلفة من دراسة الأساليب الحديثة في مجالات مماثلة في الخارج.

جـ ـ تنظيم مراكز وحلقات للتدريب على مستوى إقليمي لتمكين خبراء من عدة دول تبادل الأفكار والخبرة في مجالات فنية معينة ، مع تقديم كميات محدودة من الأعتدة لأغراض التعليم وتدعيما لمشاريع التنمية .

وبالإضافة إلى برنامج المعونة الفنية قام الصندوق الخاص الذي أنشيء في عام ١٩٥٨م بإعداد الدراسات لمعرفة المشاريع التي تمكن الصندوق من تحريك الاموال المعدة للاستثمار وتنمية اقتصاد البلدان النامية .

عقد الأمم المتحدة الأول من أجل التنمية :

خصصت الأمم المتحدة مدة عشر سنوات (١٩٦٠ ـ ١٩٧٠) لتنفيذ مشروع أطلق عليه « عقد التنمية الأول» تلتزم بمقتضاه الدول الأعضاء « بمساعدة الدول النامية على تحقيق معدل سنوي للنمو لا يقل عن ٥ ٪ سنوياً لكل دولة نامية في نهاية ذلك العقد ، ودعت الجمعية العامة الدول الأعضاء والوكالات المتخصصة إلى اتباع سياسات من شأنها

أن تساعد على زيادة صادرات الدول النامية مع استقرار أسعارها ، وتشجيع اتجاه رؤوس الأموال إليها بشروط ملائمة » [٨] .

مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية :

كما ذكرنا مسبقاً فقد أطلقت الأمم المتحدة على الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ « عقد الأمم المتحدة من أجل التنمية » رغبة في الوصول بالتطور الاقتصادي والاجتماعي للبلدان النامية إلى مكانة متقدمة عن طريق مشاركة البلدان الصناعية في تقديم العون والمساعدات لتنفيذ مخططات التنمية في هذه البلدان .

ومن خلال « مؤتمر الأمم المتحدة الأول للتجارة والتنمية » الذي عقد في القاهرة عام ١٩٦٤م ، ولد جهاز جديد تابع للجمعية العامة من خلال قرار صدر بالإجماع من قبل وفود أكثر من ١٢٠ دولة شاركت في المؤتمر المذكور أطلق عليه مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية لتحقيق وظائف من بينها [٩] :

أ ـ تنمية التجارة الدولية على النحو الذي يؤدى إلى الإسراع بالتنمية الاقتصادية فى الدول النامية ، وإلى تنمية التبادل التجاري بين الدول التي حققت مراحل مختلفة من النمو ، ثم فيما بين الدول النامية وبين الدول ذات النظم الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ، مع الأخذ في الاعتبار بالأعمال والوظائف التي تقوم بها المنظمات الدولية القائمة .

ب ـ وضع القواعد والسياسات الخاصة بالتجارة الدولية وما يتعلق بها من مشكلات التنمية الاقتصادية .

جـ ـ صياغة المقترحات الخاصة بوضع هذه القواعد والسياسات موضع التنفيذ .

هذا وقد عقد المؤتمر ثماني دورات : الأولى في ١٩٦٤م (جنيف) ، والثانية في ١٩٦٨ (نيودلهي) والثالثة في عام ١٩٧٢م (سانتياجو) ، والرابعة في عام ١٩٧٦م (نيروبي) والخامسة في عام ١٩٧٩م (مانيلا) والسادسة في عام ١٩٨٣م (بلغراد) والسابعة في ١٩٨٧م (جنيف) وكانت آخر هذه الدورات هي تلك التي عقدت في مراكش عام ١٩٩٤م

وتم التصديق خلالها على إنشاء منظمة التجارة العالمية . ويعتبر المؤتمر بمثابة حلقة وصل بين الدول النامية والمتقدمة يتم عن طريقه مناقشة المشاكل الدولية الاقتصادية والوصول من خلاله إلى حلول تساعد على تنمية البلاد النامية اقتصاديا وتسهيل ما يعرقل مسيرتها التنموية وذلك من منطلق أن تحقيق التنمية الاقتصادية تتعدى مستواها القومي إلى المستوى الدولي الذي يجب أن يعمل كامل أعضائه على تحقيقه وتعزيزه .

منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية :

من الأحداث الهامة التي شهدتها الستينات ولادة هذه المنظمة التي تبنتها الأمم المتحدة نظرا لأهمية دور الصناعة كركيزة أساسية للتنمية الاقتصادية ، ورغبة في تطوير المستوى الصناعي للدول الأقل نمواً في هذا المجال حيث انها تأتي في مستوى متدنٍ جداً مقارنة بالدول الصناعية المتقدمة . وقد حددت مهام هذه المنظمة في « إعداد الدراسات والأبحاث العلمية لتشجيع التنمية الصناعية ، الإسهام في استخدام الوسائل الحديثة للإنتاج والتخطيط الصناعي ، نشر المعلومات الخاصة بالتطور التكنولوجي ، المعاونة في إعداد البرامج والمشروعات ، تقديم المشورة والتوجيه بشأن استغلال الموارد الطبيعية والمنتوجات الفرعية واستخدامها ، والمعاونة في تدريب الفنيين ، تطوير النظام الدولي للملكية الصناعية لزيادة سرعة انتقال المعرفة الفنية إلى الدول النامية وكذلك المعاونة في الحصول على التمويل الخارجي للمشروعات الصناعية المحددة »[١٠] .

هذا وتعقد المنظمة اجتماعات دورية لمناقشة المشكلات الدولية ذات العلاقة بالتنمية الصناعية وإيجاد الحلول الملائمة لها إضافة إلى عمل ما يدعم تحقيق المنظمة لأهدافها من جهة والنهوض بالاقتصاديات الصناعية في الدول الأقل نموا ومساعدتها في التغلب على المصاعب والعوائق التي تقف في طريق بنائها الاقتصادي الصناعي من جهة ثانية .

برنامج الأمم المتحدة الإنمائي :

وبالإضافة إلى تكوين منظمة متخصصة لدفع عجلة التنمية الصناعية

في دول العالم الأقل نمواً ، فقد شهدت الستينات حدثاً هاماً آخر هو دمج برنامج المساعدة الفنية الموسع وبرنامج الصندوق الخاص في برنامج واحد سُمي « برنامج الأمم المتحدة الإنمائي » رغبة في جمع الخبرة وتسهيل برمجة المعونات وتوسيع نطاقها .

ويعتبر البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة « أكبر برنامج عالمي للتعاون الفني المتعدد الأطراف يعمل بالاشتراك مع أكثر من مائة وخمسين دولة معتمداً على الموارد والمساهمات الاختيارية التي تقدمها جميع دول العالم تقريباً ، ويساهم في هذا البرنامج الأعداد الكبيرة من الخبراء الذين يكونون عادة تحت تصرف حكومات الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة وذلك بتقديم المشورة والنصح والخدمات عند حاجة هذه الدول لها ، ويلاحظ المشاركة المتبادلة بين الدول الأعضاء في تقديم الخبراء ، حيث تقدم الدول النامية الطالبة للعون نفسها الخبراء ليعملوا في مناطق أخرى من العالم وأصبح البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة برنامجا تعاونياً متعدد الجوانب وملموس النتائج على الصعيد العالمي بدلا من أن ينحصر على برنامج معونة فنية من جانب واحد » [11] . وهذا ما أعلنه مجلس المعونة الفنية للبرنامج [11] .

عقد هيئة الأمم المتحدة الثاني للتنمية :

بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على إنشاء الأمم المتحدة ، أصدرت الجمعية العامة قرارها رقم (٢٦٢٦) والذي تبنت نتيجة له « الاستراتيجية الدولية في العقد الثاني للأمم المتحدة في التنمية الاقتصادية » وذلك للفترة من ١٩٧٠ ـ ١٩٨٠هـ . وقد « أوصت الجمعية العامة أن يكون معدل النمو في الدول النامية ٦٪ سنويا من الناتج القومي الإجمالي على أن تسعى هذه الدول لزيادة هذه النسبة في النصف الثاني من العقد ، إضافة إلى تخصيص الدول الصناعية المتقدمة ١٪ من ناتجها القومي لمساعدة الدول النامية التي أوصت الاستراتيجية ضرورة مضاعفة جهودها وحشد مواردها لتبلغ نسبة المدخرات فيها ٢٪ من الناتج القومي الإجمالي إضافة

إلى قيام الدول النامية بالعمل على إصلاح إدارة منشآتها وبنيانها الاقتصادي بغية الإسراع في التنمية وزيادة الإنتاج » [١٢] .

دورات الجمعية العامة الخاصة بالتنمية الاقتصادية :

عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورات خاصة لمناقشة التنمية والتعاون الاقتصادي الدولي حيث عقدت دورة خاصة عام ١٩٧٤م لدراسة قضية التنمية والمواد الأولية . وقد أصدرت الجمعية العامة في ختامها وثيقة دعت فيها إلى « ربط أسعار المنتجات الأولية بالدول النامية بأسعار المنتجات الصناعية للدول الغنية ورفع المساعدة التي تقدمها الدول الغنية للبلدان النامية إلى نسبة ٧٪ من دخلها القومي » [١٣] .

أما الدورة الخاصة التي عقدت عام ١٩٨٠م فقد أقرت الجمعية العامة أثناءها استراتيجية التنمية الدولية لعقد الأمم المتحدة الثالث للتنمية (١٩٨٠ - ١٩٩٠م) من خلال « تحقيق زيادات كبيرة في الإنتاج الغذائي والزراعي في الدول النامية وبيعه في الأسواق العالمية بأسعار عادلة إضافة إلى إقامة مجموع من البنى الأساسية في قطاعات التنمية للدول النامية » [١٤] .

الهيئات المالية والتنموية :

تعتبر الهيئات المالية والاقتصادية المتخصصة من أهم الوسائل التي وظفتها هيئة الأمم المتحدة لتحقيق التعاون الاقتصادي الدولي وتقوية العلاقات الاقتصادية بين الدول الأعضاء . وهذه الوكالات هي :

صندوق النقد الدولي (١٩٤٥) والبنك الدولي للتنمية والتعمير (١٩٦٠) ومؤسسة التمويل الدولية ووكالات التنمية الدولية (١٩٦٠) والجات (الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية) التي أصبحت منظمة دولية مؤخراً تحت مسمى « منظمة التجارة العالمية » .

فبالنسبة لصندوق النقد الدولي فإن أغراضه الرئيسة تتضح من خلال النص التالي من اتفاقية انشائه : « دعم استقرار أسعار الصرف ، والمحافظة على

التدابير المنظمة للصرف بين الدول الأعضاء ولتفادي التنافس على تخفيض أسعار الصرف ، وللمساهمة في إقامة نظام للمدفوعات متعدد الأطراف بالنسبة للعمليات الجارية بين الدول الأعضاء ، وفي محو القيود المفروضة على الصرف الأجنبي التي تعوق نمو التجارة الدولية ، ولبث الثقة بين الدول الأعضاء بجعل موارد الصندوق ميسورة لها بضمانات ملائمة ومن ثم إتاحة الفرصة لها لتصحيح الاختلال في موازين مدفوعاتها دون الالتجاء إلى التدابير التي من شأنها أن تقضى على الرخاء القومي أو الدولي » (١٥) . إضافة لتلك الوظائف فإن الصندوق يؤدى وظائف أخرى رغبة فى دعم ومساندة كل ما يخدم ويحقق أغراضه الأساسية سابقة الذكر . ومن هذه الوظائف نشاطاته التدريبية من خلال البرامج التي يقدمها معهد التدريب التابع للصندوق إضافة إلى وظيفة هامة أيضاً وهي تقديمه لمعونات فنية للدول الأعضاء مثل تقديم النصح للدول الاعضاء لرسم وتنفيذ سياساتها المالية وتطوير إحصائياتها وتنظيم بنوكها المركزية وإمدادها بالموظفين والخبراء عند الحاجة .

أما البنك الدولي للتنمية والتعمير فإن أهدافه هي « معاونة الدول الأعضاء في تنمية وتعمير أقاليمهما وتشجيع الاستثمارات الأجنبية وتقديم القروض وتنمية التجارة الدولية والمحافظة على استقرار موازين المدفوعات وتنمية الموارد الإنتاجية وتقديم المساعدات الفنية فى إعداد وتنفيذ برامج القروض وفي تنفيذ برامج استثمارية طويلة الأجل » (١٦) . هذا ويعمل البنك على التعاون الدائم مع صندوق النقد الدولي في خدمة التنمية الاقتصادية الدولية التي تعتبر هدفا مشتركاً بينهما . ويتم ذلك التعاون عن طريق الاتصالات المستمرة بين موظفي المؤسستين وعقد الاجتماعات السنوية بينهما على مستوى « مجلس المحافظين » لبحث المشكلات الاقتصادية الدولية وذلك لغرض التنسيق وعدم الإزدواج في العمل بالمؤسستين .

أما مؤسسة التمويل الدولية فإنها أنشئت لغرض « تنمية اقتصاديات الدول النامية عن طريق الاستثمار في مشروعات إنتاجية خاصة بالاشتراك مع

المستثمرين من رجال الأعمال وهي بذلك تتميز عن البنك الدولي في أنها تتعامل مباشرة مع رجال الأعمال في ميدان النشاط الخاص دون تدخل الحكومات عن طريق تقديم الضمانات »[(١٧)] .

وأنشئت الوكالة الدولية للتنمية لكي « تعمل على دعم نشاط البنك الدولي في مجال تحقيق التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة في الدول النامية عن طريق تمويل المشروعات الأساسية »[(١٨)] .

اتفاقية الجات / منظمة التجارة الدولية :

لهذه الاتفاقية (اتفاقية الجات) دور كبير في حل المشكلات المتعلقة بالتجارة الدولية . فقد وقعت ثلاثون دولة على هذه الاتفاقية في ٣٠ أكتوبر ١٩٤٧م وأصبحت سارية المفعول ابتداء من أول يناير ١٩٤٨م . وتلتزم الدول المتعاقدة على المساعدة في رفع مستوى المعيشة ، وضمان تحقيق العمالة الكاملة ودخول قومية متزايدة وتنمية منابع الثروة في العالم والتوسع في الإنتاج وفي تبادل وتشجيع التنمية الاقتصادية . وقد سلكت الجات سبلا منها تخفيض التعريفة الجمركية ومنع التمييز بين الدول في التجارة وتخفيف استخدام القيود الكمية على الواردات .

هذا وقد عقدت الجات مؤتمرات دولية لأعضائها نتج عنها « تخفيضات ملموسة في التعريفات الجمركية إضافة إلى إزالتها لعوائق وحواجز كانت تقف في طريق نمو التجارة الدولية والتي من أهمها حرية التجارة الدولية بين الدول النامية والدول الصناعية والتي تنظم الجات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حوالي ٨٠٪ منها »[(١٩)] .

ولقد نجح المجتمع الدولي مؤخراً في التصدي لقضية تعتبر إحدى القضايا الاقتصادية الدولية الهامة وهي قضية تحرير التجارة الدولية وذلك من خلال التوقيع على إنشاء منظمة للتجارة العالمية هدفها إكمال ما قامت به « الجات» على مر السنين الطويلة الماضية من جهود ساعدت على حل العديد من المشكلات المتعلقة بالتجارة الدولية .

ومن العرض الإيجازي السابق يتبين لنا أن الأمم المتحدة تقوم بأعباء كبيرة ممثلة في أجهزتها الفرعية ووكالاتها المتخصصة لدعم وتطوير التعاون الدولي في مجال التنمية الاقتصادية. وقد رأينا كيف تعمل الأمم المتحدة على تنظيم وتقوية العلاقات الاقتصادية بين الدول الأعضاء وصولاً إلى تحقيق الأهداف السامية التي أنشئت من أجلها، والتي نصت عليها المادة الخامسة والخمسون من ميثاقها المشار اليه سابقاً. ولقد نجحت الأمم المتحدة في الوصول إلى تحقيق الكثير من تلك الأهداف السامية التي شملتها تلك المادة عبر الفترة التي انقضت منذ إنشائها عام ١٩٤٥م.

المراجــع

(١) د. جـوزيف فـرانكل العلاقـات الدوليـة (ترجـمـة د. غـازي القـصـيـبي) مطبـوعـات تهامة ، ١٩٨٤م ص ١٢٨ ـ ١٣٠ .
(٢) المادة الأولى من ميثاق هيئة الأمم المتحدة .
(٣) دانيـال كـولار العـلاقـات الدوليـة (ترجـمـة د. خـضـر خـضـر) الطبـعـة الأولى ، دار الطليعة، بيروت ، ١٩٨٠م ص ١٥٩ .
(٤) المادة الخامسة والخمسون من ميثاق هيئة الأمم المتحدة .
(٥) د. حسين عمر المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية الحديثة مطابع تهامة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣م ، ص١٥٩ .
(٦) دانيـال كـولار العـلاقـات الدوليـة (ترجـمـة د. خـضـر خـضـر) ، الطبـعـة الأولى، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٠، ص ١٥٩ .
(٧) كلارك ايشلمبر غر الأمم المتحدة في ربع قرن ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٠، ص ٢٤١ .
(٨) د. عبدالواحد محمـد الفار التنظيم الدولي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٩، ص ٣٤١ .
(٩) د. مفيد شهاب المنظمة الدولية ، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م ، ص ٥٨٨ .
(١٠) د. حسين عمر ، مصدر سابق ، ص ٣٨٨ .
(١١) د. مفيد شهاب ، مصدر سابق ، ص ٣٧٣ .
(١٢) د. حسين عمر ، مصدر سابق ، ص ٤٢٢ .
(١٣) د. عبدالواحد الفار ، مصدر سابق ، ص ٣٤٤ .
(١٤) د. مفيد شهاب ، مصدر سابق ، ص ٣٧٦ .
(١٥) المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .
(١٦) د. حسين عمر ، مصدر سابق ، ص ٨٢ .
(١٧) د. مفيد شهاب ، مصدر سابق ، ص ٥٦٦ .
(١٨) د. حسين عمر ، مصدر سابق ، ص ٧١٠ ـ ٧١١ .
(١٩) د. مفيد شهاب ، مصدر سابق ، ص ٥٧٣ .

إعداد الأهداف التعليمية وتقويمها

تعديل مقترح لأسلوب التحضير

د. ابراهيم مبارك الدوسري

مقدمة :

ينظر بعض المدرسين إلى دفتر التحضير على أنه أداة ، قصد منها اختبار مدى صبرهم وتقبلهم لتعليمات الموجه التربوى وملاحظاته . اذ يعتقد جزء من هؤلاء أن التحضير عبء إضافى إلى جدولهم من الحصص ولا يساهم في تحسين مقدرتهم على تأدية الدروس . وإذا استثنينا فئة صغيرة من المدرسين الجدد والذين يمكن أن يسهم التحضير في تهيئتهم للتفكير في مادتهم الدراسية وتنظيم عناصرها فى أذهانهم قبل تقديمها للتلاميذ ، نجد أن كثيراً من المدرسين يرون في التحضير نشاطا عبثيا لا لزوم له . فالمدرس الذى مارس تدريس مادته سنة بعد أخرى يظن أنه قد ألم بما يحسن تقديمه للتلاميذ وحفظ جيدا المادة الدراسية بالقدر الذي لا يحتاج معه بذل استعداد خاص لها أو تنظيم مسبق .

ويبذل الموجه ومدير المدرسة أحيانا جهدا كبيراً في إقناع المدرسين بأن التحضير ضرورى دون أن يقدموا حجة قوية مقنعة . وقد نجم عن ممارسات وعادات في التدريس والتوجيه أن أصبح التحضير تقليدا مدرسيا تتسم أحيانا بالرتابة والتكرار . ومع توفر كثير من التساؤلات عن أهمية هذا التقليد ولزومه إلا أن جهودا لم تبذل لتطويره أو إدخال تغييرات تذكر عليه . بل إن خطوات التحضير قد لبثت تكتب مرات ومرات دون إدراك أو عناية بمدى ملاءمتها أو

* محاضرة قدمت ضمن ندوة التعليم منهجا وأسلوبا التي أقيمت بمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بتاريخ ١٤١٧/٧/١٤هـ= ١٩٩٦/١١/٢٥م .

حتى إمكانية الإستفادة منها . وأمام إصرار الموجه ومدير المدرسة يميل بعض المدرسين إلى بذل عناية فائقة بمظهر كراس التحضير وما يدون فيه من خطوات وتفصيلات دون أن يرتبط ذلك بالضرورة بخطة يتم تنفيذها فعلا فى الفصل . ولا ريب أن نوعا من هذا النشاط ، سواء كان في العناية الفائقة بالشكل دون التطبيق أو الإهمال لتعليمات الموجه ومدير المدرسة لعدم الاقتناع بها أو تنفيذها على مضض أو دون اكتراث ، لا يعد أسلوبا طيباً فى الممارسة لوظيفة التدريس والتعلم .

ولا يختلف ثبات الطريقة المتبعة في التحضير عن ثبات عدد من الممارسات التى مع توفر القناعة بضرورة تطويرها ووجود البدائل المناسبة لذلك لا تزال قائمة دون تغيير يذكر . فأسلوب التدريس ذاته والطريقة المتبعة في تقديم الدروس إلى التلاميذ وإجراءات الاختبارات وأنماط إعدادها وتقدير نتائجها لا تزال من الممارسات الراسخة التي لم تمتد إليها يد الإصلاح بشيء كثير. وفي هذه الأمسية سأتناول موضوعين رئيسين يرتبطان بموضوع التحضير مع الإشارة العابرة إلى ما يجب أن يقوم به المدرس للتحسين من الأسلوب المتبع حالياً في التحضير .

هذان الموضوعان هما :

١- كتابة الأهداف التعليمية لأغراض التدريس والتقويم .

٢ - تقويم التحصيل الدراسي وفقا لأهداف تدريسية محددة .

وسيندرج تحت كل موضوع عدد من الموضوعات الفرعية والتي يضيق وقت المحاضرة عن تناولها في جلسة واحدة وسيكتفى بإثارة أهم العناصر فيها . وآمل من هذا أن نعيد التفكير قليلاً في بعض ما نقوم به على أن ينجم عن ذلك شيء من التحسين و التطوير نحو الأفضل .

على أننى قبل التطرق إلى هذين الموضوعين بشيء من التفصيل أود العودة إلى موضوع التحضير لأبين موقع

الموضوعين السابقين منه وأهمية تعديل الطريقة التي نتبعها في التحضير كى تثمر عملية التدريس والتعلم وتحقق ما يرجى منها .

والطريقة التى سأقترحها قد يتراءى من خطواتها أنها لا تختلف كثيراً عما هو قائم حاليا ، بل إنها قد تبدو أبسط وأقل خطوات من الطريقة المتبعة . فالطريقة المقترحة تقوم على الخطوات التالية :

١ ـ كتابة الأهداف التعليمية .

٢ ـ وصف الفعاليات والأنشطة التي يقوم بها المدرس .

٣ ـ تقويم الأهداف التعليمية .

إلا أن الاختلاف في هذه الطريقة يكمن في شيء جوهرى هو الأسلوب الذى يتبعه المدرس فى صياغة الأهداف التعليمية (او التدريسية) . كما يكمن في جانب آخر مهم يصاحب تقويم الدرس ويتعلق بالخطوة الثانية سيشار إليه دون أن يكون هناك مجال لتفصيله . فالأهداف التى يضعها المدرس فى دفتر التحضير تحدد بشكل رئيسي مدى الجدوى من التحضير والأسلوب الذى يقدم به الدرس والكيفية التى يقوم بها تحصيل التلاميذ .

إن التفكير نشاط يحتاج إلى مجهود وطاقة تبذل ، وما لم يتوفر الدافع للقيام بهذا النشاط فسنبقى ميالين دائماً إلى الأخذ بأسهل الامور وأقلها استهلاكاً للطاقة . وبما أن تحضير الدروس يحتاج إلى تفكير مسبق وخطة تكتب فإن الوسيلة الوحيدة للرقى بالتحضير هى استعداد المدرس ورغبته فى أن يبذل شيئا من التفكير والمثابرة في تأمل البدائل المناسبة لتوصيل دروسه بدلا من الاندفاع إلى الفصل وترك كثير من القرارات رهن سير الدرس وأحداثه الآنية .

ولأهمية الفقرة السابقة ، يمكن أن يحكم على ما يقترح من خطة بعدم الجدوى إذا لم يتوفر دافع كاف للصبر على تنفيذها .

والأهداف التى سنتناولهـا هذه الأمسية والتى تبنى عليها الخطوة الأولى ويقوم عليه اقتراح تغيير أسلوب التحضير ترتكز على منهجية ثبتت فائدتها وبررتها عيوب الأساليب المتبعة حاليا فى صياغة الأهداف . فوفقا لهذه المنهجية المقترحة ينظر الى التعليم على أنه عملية تؤدى فى النهاية إلى تغيير في السلوك .

وبمعنى آخر فإنه بعد نهاية الدرس يتوقع أن يحدث تغير فى سلوك التلاميذ يختلف عما هو قائم قبل تقديم الدرس . فالطالب الذى لا يستطيع مثلا تمييز بعض الحروف قبل إعطائه درسا يهدف إلى جعله يميز تلك الحروف يتوقع أن يكون قادرا على التمييز بعد الانتهاء من الدرس . فهذا نوع من التغيير في سلوك التلميذ تم بواسطة عملية التدريس .

وتتطلب هذه المنهجية تحديدا واضحاً للسلوك المتوقع حدوثه . فالمدرس يدرك ضمنا قبل أن يدخل الفصل ليدرس موضوعا جديدا أن التلاميذ سيتعلمون شيئا لم يكن يعرفونه من قبل . إلا أن المدرس مع إدراكه الضمنى لهذا الشىء لا يستطيع التصريح به أو وصفه على نحو إجرائى يثبت الطريقة التي يمكن بها ملاحظته والتحقق من مدى حدوثه . ومراجعة للطريقة التي يكتب بها المدرس أهدافه توضح هذه النقطة . فالأهداف المكتوبة من قبل المدرس وكذلك ماهو شائع منها فى المناهج والكتب الدراسية تمتاز بعمومية واسعة تحتمل الكثير من التفسيرات . بل إن هدفا واحدا يصوغه المدرس قد يحتمل أكثر من معنى للعديد من المدرسين . وما دام أن هناك اختلافاً فيما يقصد بالهدف سيكون هناك اختلاف ليس فقط على أسلوب تدريسه بل وعلى الاتفاق على مدى تحققه وتقويمه . فالأهداف المستخدمة في التحضير حاليا تمتاز بالسعة والعموم مما يقلل من فائدتها في تحديد طريقة التدريس والأسلوب المتبع في التقويم .

ويمكن إضافة عيب آخر شائع في الأهداف التى تعد لأغراض التدريس يحد

من مدى الفائدة منها . هذا العيب يعود إلى ميل المدرسين في صياغة جملة الهدف لتعبر عن سلوك المدرس وما سيقوم به من نشاط فى الفصل . وكما اتفقنا سابقا فى أن التعليم هو عملية تغيير فى سلوك المتعلم فيجب أن تعبر جملة الهدف عن ذلك التغير المتوقع حدوثه في سلوك التلميذ بدلا من أن تعبر عن سلوك المدرس . ولا يعنينا سلوك المدرس إلا بالقدر الذى يكشف لنا عن النشاط الذى سيؤديه داخل الفصل . ومع أن هذا أمر مهم لمعرفة مدى جدواه فى توصيل الدرس إلا أنه يخطىء الهدف من التدريس وهو إحداث التغيير فى سلوك المتعلم . فالهدف المطلوب إعداده في دفتر التحضير يجب أن يعبر فقط عن السلوك المتوقع حدوثه ويمكن ملاحظته عند التلميذ .

كذلك يميل بعض المدرسين وتزخر أحيانا بعض المقررات بسرد موضوعات الدرس وعناصره على أنها أهداف . والواقع أن هذه ليست أهدافا بل هى أجزاء فى محتوى الدرس تنبىء فقط عن التفاصيل الداخلة فى بنية الموضوع وتركيبته المعرفية في الغالب .

والأهداف التي يوصى بها لتغيير طريقة التحضير تركز على تلافي العيوب السابقة وغيرها فهي محددة وليست عامة وهي إجرائية معبرة عن سلوب الطالب المتوقع وليس عن سلوك المدرس ، كما أنها تشتمل على المحتوى الذى هو أداة السلوك ولا تقتصر عليه فقط . والفقرات التالية تطرح قواعد عامة لصياغة الأهداف كى تكون الأساس فى التحضير وتقديم الدروس وتقويمها .

قواعد عامة لصياغة الأهداف :

قبل إيراد شىء من القواعد التي تساعد فى صياغة الأهداف يحسن بنا الوقوف قليلاً عند موضوع السلوك المتوقع حدوثه عند التلميذ نتيجة لعمليتى التدريس والتعلم . فلا ريب أنه ينجم عن عمليتى التدريس والتعلم أنواع مختلفة من السلوك ، قد يكون من

الصعب الإلمام بها فى جمل أهدافية معبرة عنها . وقد وجد أنه من المساعد للتفكير في هذه النواتج المترتبة على التدريس والتعلم أن تصنف ضمن فئات يسهل التعامل معها حين إعداد الأهداف أى أن الأهداف التى تعبر عن سلوك التلميذ يمكن تجميعها ضمن فئات محددة اتضح من خلال البحث مدى اقترابها من تمثيل الواقع وتيسير التفكير فيه .

وهذا التصنيف للأهداف يعتمد على شيء من المنطقية والاتفاق مع ماهو معروف من نظريات فى علم النفس التربوى وما يعتقد أنه الأنسب للنظر فى عملية التدريس والتعلم وقد بذلت جهود كبيرة منذ ما يزيد عن ثلاثين عاماً لتصنيف الأهداف التعليمية ولا تزال عملية التدريس تخضع للعديد من البحوث والتنظير للحصول على نماذج تزيد من فعالية التعلم وترقى بها .

وسأقدم نموذجين لتصنيف الأهداف ، يمكن استخدام واحد منهما للتفكير فى السلوك الذي يسعى المدرس لتحقيقه عند التلميذ بعد القيام بالتدريس ، ويعزى التصنيف الأول لبلوم BLOOM والذى يرى وجماعته أن هناك ثلاث نواح رئيسة لتصنيف الأهداف هي :

١ ـ الناحية الذهنية .

٢ ـ الناحية الوجدانية .

٣ ـ الناحية النفسية الحركية .

وتنقسم كل من هذه النواحى إلى عدد من الفروع ، فمثلا تنقسم الناحية الذهنية إلى مايلي :

١ . المعرفة

١/١ معرفة الخصوصيات .

١/١/١ معرفة المصطلحات .

١/١/٢ معرفة الحقائق .

١/٢ معرفة الطرق والوسائل للتعامل مع الخصوصيات .

١/٢/١ معرفة الأساليب .

١/٢/٢ معرفة الإتجاهات والمؤشرات .

١/٢/٣ معرفة الأقسام والتصنيفات .

١/٢/٤ معرفة المعايير .

١/٢/٥ معرفة الطرق .

٣/١ معرفة العموميات والتجريدات .

١/٣/١ معرفة المبادىء والتعليمات .

٢/٣/١ معرفة النظريات والبناء النظري .

٢ ـ الفهم

١/٢ الترجمة .

٢/٢ التفسير .

٣/٢ التأويل .

٣ ـ التطبيق

٤ ـ التحليل

١/٤ التحليل إلى عناصر .

٢/٤ التحليل إلى علاقات .

٣/٤ التحليل إلى مبادىء منظمة.

٥ ـ التركيب

١/٥ إنتاج رسالة فريدة .

٢/٥ إنتاج خطة .

٣/٥ اشتقاق علامات مجردة .

٦ـ التقويم

١/٦ الحكم وفقا لمعيار داخلى .

٢/٦ الحكم وفقا لمعيار خارجي .

ويلاحظ أن أغلب ما يتم التركيز عليه فى عملية التدريس عند معظم المدرسين لا يتجاوز الناحية الذهنية دون الاهتمام بالناحية الوجدانية أو النفسية الحركية . بل إن الاهتمام في الناحية الذهنية يكاد ينحصر فى الجانب الأول الخاص بالمعرفة وهو جانب من التصنيف يركز على الحفظ والتذكر واستدعاء المعلومات اللفظية من الذاكرة دون فهمها بالضرورة أو استخدامها على نحو مفيد . وهذا فى ذاته أحد العيوب التى يحسن الانتباه إليها للرقى بوظيفة المدرسة ومهمتها التربوية .

أما التصنيف الآخر فينظر إلى عملية التعلم على أنها تحدث نواتج محددة فى المتعلم يمكن على ضوئها تصنيف الأهداف التعليمية لتعبر عن هذه النواتج والتى تنحصر في :

١ ـ مهارات ذكائية .

٢ ـ استراتيجيات ذهنية .

٣ ـ معلومات لفظية .

٤ ـ مهارات حركية .

٥ ـ مواقف وجدانية أو عاطفية .

وتعرف المهارات الذكائية على أنها تلك المهارات أو القدرات التى تمكن المتعلم من أداء شيء ما والإجادة فيه . وهى التى تمكنه من الاستجابة للتصورات المبنية حول بيئته . وتتفاوت هذه من المهارات البسيطة فى اللغة كتركيب الجملة المكونة من عدد من الكلمات القليلة إلى حل أكثر المعادلات الرياضية تعقيداً وصعوبة . ويعنى تعلم هذه المهارات تعلم كيفية أداء شيء ذهني أو القيام به . على أن هذه المهارات تشتمل العمليات التالية :

١ ـ التمييز .

٢ ـ المفاهيم الحسية .

٣ ـ المفاهيم المعرفة .

٤ ـ القواعد .

٥ ـ القواعد ذات المستوى الذهني الأعلى .

٦ ـ حل المشكلات .

أما الاستراتيجيات الذهنية فتعرف على أنها ما يتحكم في عملية التعلم عند الفرد وتذكره وسلوكه الخاص في التفكير والتعامل مع المشكلات وطريقة حلها . كما تعرف المعلومات اللفظية على أنها المعرفة اللفظية والتى تتكون من الحقائق والأسماء والوقائع والأحداث وخلاف ذلك . فالمعلومات التى تدرس في الجغرافيا مثلاً أو التاريخ والأخبار التى نسمعها أو نقرؤها أحيانا في الصحف هي ضرب المعلومات اللفظية التى تملأ الذاكرة وغالبا ما ينسى أكثرها .

أما المهارات الحركية فهى كل أنواع التعلم التى تعبر عن أداء حركة كالإمساك بالقلم والخط والرسم والقفز وركوب الدراجة وغير ذلك من المهارات .

وتشبه المواقف في هذا التصنيف ما يعرف في التصنيف الأول بالناحية الوجدانية . إذ تعبر هذه عن اتجاه عاطفى، وإيجابي أو سلبي نحو شيء أو موضوع ما . ويلاحظ أن هذا الجانب مهمل العناية إلى حد بعيد فى المناهج الدراسية . ومع وجود الحاجة إلى فهمه وأخذه فى الاعتبار عند تدريس بعض القيم الأخلاقية أو تكوين المواقف الوجدانية نحو كثير من

الأمور والقضايا الهامة ، إلا أنه لا يوجد منهج منظم يتبع فى المدرسة للعناية به .

ويمكن للمدرس بعد تقديم هذين التصنيفين أن يختار ما يروق له منهما أو يضع التصنيف الذى يراه مناسباً إن أمكنه ذلك . إلا أن عملية التصنيف ذاتها ليست كافية وحدها للتفكير حول الأهداف التعليمية . بل إن هناك جانبين آخرين يلزم أخذهما فى الاعتبار للحصول على أهداف جيدة ومحققة لأغراض التدريب . وواحد من هذين الجانبين يرجع إلى تحليل الهدف ذاته ومعرفة العمليات والفعاليات المؤدية إلى تحقيقه .

وللحديث عن موضوع التحليل ، سيفترض أن المدرس قد حدد سلوكاً متوقعاً عند التلميذ وأنه قادر على وصف ذلك السلوك فى عبارات إجرائية . فبعد معرفة ذلك السلوك وتصنيفه يتأمل المدرس الخطوات الداخلة في القيام بذلك السلوك فعلاً ويصفها ما أمكن ليحدد الكيفية التى يسير فيها الطالب والقدرات والبدائل المتخذة لبلوغ هدف السلوك . ومع أنه يصعب وصف الخطوات التى قد تدور في ذهن الطالب لحل مشكلة معينة إلا أن كثيراً مما يدرس وخصوصاً في مجال الرياضيات والعلوم واللغة إلى حد ما يمكن أن يخضع للتحليل لتحديد الخطوات والقرارات الموصلة إلى الحل .

أما الجانب الآخر فيتحدد من خلال التحليل ويقوم على وصف المتطلبات السابقة للقيام بأية عملية . إذ يمكن مثلاً وصف الخطوات التي يسير فيها الطالب لجمع رقمين عشريين ثم يحدد بعد ذلك العمليات التي يجب أن يكون الطالب ملما بها وسبق له تعلمها قبل أن يكون قادراً على جمع الرقمين العشريين . ومن هنا تأتي أهمية تصنيف الأهداف إذ أن ذلك يساعد على تحديد الظروف المناسبة لتعلم الهدف أو إحداث السلوك المطلوب تحقيقه .

وتمهد هذه الخلفية المقتضبة والتى أرجو ألا تبدو شاقة للمدرسين للحديث عن الشروط المطلوب توفرها في جملة الهدف ليكون إجرائياً والقواعد العامة التي يمكن أن يوصى بها عند كتابته .

الشروط اللازم توفرها ليكون الهدف إجرائياً (سلوكياً) :

١ ـ أن تحتوى جملة الهدف على فعل (نشط) يصف السلوك . أى أن الفعل الوارد في جملة الهدف يمكن من الحكم على مدى حدوث السلوك وملاحظته . فالفعل الوارد في الهدف التالي :

أن يفهم الطالب معنى الخبر

لا يمكن المدرس من ملاحظة الفهم ذاته متى يحدث . ويمكن لجعل هذا الهدف سلوكياً تغيير الفعل ليكون على النحو التالي :

أن يعرّف الطالب الخبر .

فالفعل يعرف فعل نشط أى يمكن ملاحظته متى يحدث (والقائمة المرفقة تحتوى على عدد من الأفعال التى يمكن استخدامها في صياغة جملة الهدف) .

٢ ـ أن تصف جملة الهدف الظروف التى يحدث فيها السلوك . فجملة الهدف التالية تصف الظرف الذى يقع فيه السلوك :

عند تقديم جملة اسمية ، يستطيع الطالب أن يحدد الخبر في الجملة . فالظرف الموصوف هنا هو الجملة الاسمية التى تقدم إلى الطالب ، إذ أنه يقوم بتحديد الخبر من خلال الجملة المعطاه له .

ومثال آخر :

يستطيع الطالب أن يكتب أسماء أهم المدن فى المملكة على خارطة صماء تقدم له .

فهذه الجملة تحتوى على فعل نشط يمكن ملاحظته وهو : « يكتب » والظرف الذى يحدد معطيات السلوك وهو وجود خارطة صماء عند الطالب يقوم بكتابة أسماء المدن عليها .

٣ ـ أن يتوفر في جملة الهدف معيار للحكم على مدى تحقق السلوك فمثلا الجملة التالية تعبر عن ذلك .

عند تقديم عشر مسائل فى الجمع تحتوى كل واحدة منها على مجموعتين من الأعداد مكونة من رقم واحد (خانة واحدة) يستطيع الطالب أن يحسب المجموع لكل عددين بشكل صحيح في

ثمان مسائل على الأقل منها .

فالمعيار للحكم على مدى تحقق السلوك وهو حساب المجموع للعددين عبر عنه بحساب ثمان مسائل على الأقل من العشر بشكل صحيح .

على أن أهم الشروط السابقة هو الشرط الأول وهو فعل السلوك فهو الذى يحدد التغير المطلوب حدوثه عند التلميذ. وعليه فإنه يمكن التغاضي عن توفر الشرط الثاني في جملة الهدف . كما يمكن الى حد كبير تجاهل الشرط الأخير وهو وجود معيار في جملة كل هدف .

وإضافة إلى هذه الشروط توجد قواعد عامة يلزم اتباعها للحصول على جملة هدف جيدة ومن هذه :

١ ـ أن تكون الجملة سهلة ومعبرة، خالية من الغموض ومفهومة بوضوح تام .

٢ ـ أن تقتصر الجملة على هدف واحد فقط .

٣ ـ أن يتمشى الهدف الوارد فى الجملة مع الأهداف الأعم منه .

٤ ـ أن يرتبط الهدف بخبرات التلميذ وما يدرسه .

٥ ـ أن يتناسب من حيث الصعوبة مع المستوى الدراسى والعقلى للتلميذ .

٦ ـ أن يكون الهدف مهما من الناحية التربوية ، أى لا يكون تافها أو سطحيا .

٧ ـ أن يكون تحقيقه ممكنا في الظروف المتاحة للطالب والخطة الدراسية .

ويمكن الاستفادة من الاستمارة المرفقة فى تقويم الهدف الذى يكتبه الدارس والحكم على مدى صلاحيته .

ومن الجدير بالذكر أن الإدارة العامة للبحوث التربوية والتقويم بوزارة المعارف قد قامت بكتابة عدد من الأهداف السلوكية لكثير من المواد الدراسية . ويتوفر لدى الإدارة حالياً مجموعة تزيد عن ستة آلاف هدف سلوكى في الرياضيات والعلوم واللغة العربية والتربية الإسلامية واللغة الإنجليزية والمواد الاجتماعية . وهذه الأهداف عند

استكمالها ستخفف بلا شك كثيراً من العبء على المدرسين فى كتابة الأهداف بأنفسهم . وينصح من يرغب الاستفادة منها القيام بزيارة للإدارة والحصول على نسخة منها فى مادته الدراسية لمراجعتها ومحاولة استخدامها فى التدريس والتقويم .

أما الخطوة التالية فى التحضير فتقوم على وصف المدرس للفعاليات والنشاطات والمواد التى يستخدمها من أجل تحقيق الهدف . وقد لا تختلف هذه كثيراً عما هو متبع طالما أن الوصف يعبر بوضوح عما يزمع المدرس القيام به ويتوفر به عنصر المنطقية والتسلسل المناسب لوصف الدرس ومستوى نمو الأطفال والعمليات العقلية المتوقعة . ويمكن أن يوصى بالاستفادة من بعض الجوانب التى وردت فى نموذج تدريسي في وصف الفعاليات التى يقوم بها المدرس اثناء تدريس الهدف التعليمى . وتقوم هذه الفعاليات على ما يسمى في النموذج بأحداث التدريس (١) والتى يمكن تلخيصها على النحو التالي :

١ ـ إثارة انتباه التلاميذ .

٢ ـ إبلاغ التلاميذ بالهدف من الدرس .

٣ ـ مراجعة التعلم السابق والذى هو ضرورى لتعلم الهدف .

٤ ـ تقويم الدرس والمادة التعليمية .

٥ ـ مطالبة التلميذ بأداء السلوك وإبلاغه بمدى نجاحه فى ذلك .

٦ ـ تعزيز التعلم من خلال التطبيق .

ومن الواضح بتأمل هذه «الأحداث» أن كل هدف أو ناتج تعليمى قد يستدعى وصفا مختلفا لما يناسبه من «أحداث» .

وبالإضافة إلى قيام المدرس بوصف نشاطه ضمن ما سبق ، يلزم أن يصف الوسيلة التعليمية التى يستخدمها لتحقيق الهدف .

أما الخطوة الثالثة فتتعلق بتقويم الأهداف التعليمية والحكم على مدى تحققها . وفي هذه الخطوة سيكون الحديث ذا شقين . الأول يتناول تقويم الأهداف كجزء من موضوع التحضير للدروس ، أما الآخر فسيعنى بتقويم الأهداف التربوية بوجه عام . وفي هذا الجانب ونظراً لسعته سيكون هناك إشارة فقط إلى ناحية واحدة منه وهو موضوع الاختبارات المدرسية .

فمن ناحية التقويم لأهداف الدرس، سيجد المدرس أن صياغته لأهداف إجرائية سيسهل عليه إمكانية ملاحظة السلوك المتوقع حدوثه وبالتالى الحكم على مدى تحقق الأهداف . وقد يلجأ المدرس إلى استخدام عدد من الأساليب التى تمكنه من تقويم مدى تحقق الأهداف مثل ملاحظة استجابات التلاميذ وطبيعة الأسئلة التى يثيرونها . كما يمكن أن يعطى اختباراً قصيراً فى نهاية الدرس أو بداية الدرس التالى يدور محتواه حول الأهداف التى وضعها . ومن الطبيعي أن جملة الهدف والفعل الذى تحتويه سيحدد أسلوب الملاحظة والتأكد من حدوث السلوك . على أن الأسلوب المتبع غالباً للحصول على معلومات عملية حول تحصيل الطالب هو إجراء اختبار حول المحتوى والسلوك الذى كان موضوع الدرس .

ويهم المدرس في هذه المرحلة أن يعنى ليس فقط بتقويم مدى تحقق الأهداف بل وبالطريقة التى نفذ بها درسه. وتفيد المعلومات حول طريقة التدريس فى أن يحكم المدرس على مدى نجاح طريقته وفعاليتها في تحقيق الأهداف . ويفيد ذلك أيضا فى تعديل الطريقة أو تبديلها أو البحث عن أساليب أفضل منها .

ويدخل تقويم الأهداف والعمليات التى تمت داخل الفصل لتحقيقها ضمن مفهوم واسع للتقويم يسمى « بالتقويم المستمر » كما يكون ذلك متمما للتقويم الذى يؤديه المدرس فيما يسمى بالاختبارات الشهرية .

ولا ينفصل مفهوم التقويم المستمر عن مفهوم التقويم النهائى والذى يتم غالباً فى نهاية الفصل الدراسي أو فى آخر العام . إلا أنه فى آخر الفصل الدراسى أو نهاية العام يحاول المدرس أن يقوم مجموعة كبيرة من الأهداف أكثر عمومية وشمولاً مما يقوم خلال الفصل الدراسى . ويكتسب التقويم النهائى أهمية خاصة فى النظام التعليمى نظراً للقرارات الحاسمة التى تبنى على نتائجه مثل النجاح والرسوب وغير ذلك .

ويلاحظ مما هو جار عادة فى المدارس أن التقويم يعتمد بشكل رئيس على الاختبارات المدرسية ، ولهذا فإن مفهوم التقويم التربوي والذى أوضحنا أنه سيكون هناك نقاش حوله ستكون الاختبارات المدرسية محوراً لذلك النقاش فيه .

إلا أن ضيق المقام لا يسمح بالتطرق بشىء من التفصيل إلى موضوع الاختبارات المدرسية وسيكتفى بطرح قواعد عامة يرى أنه من المفيد اتباعها عند إعداد المدرس لاختباراته . وهذه القواعد ، والتى ـ أقترح أن تقوم مراكز التوجيه بعقد لقاءات مستمرة حولها ـ يمكن تلخيصها على شكل خطوات تتبع فى وضع الاختبارات على النحو التالى :

١ ـ تحديد الغرض من الاختبار (ماذا يريد المدرس من اختباره ؟) .

٢ ـ تحديد الأهداف التى سيقيسها الاختبار .

٣ ـ تحديد الظروف التى سيتم فيها الاختبار (الوقت المتوفر ، عدد الاسئلة ، المجال الذي يغطيه الاختبار (المحتوى) مستوى صعوبة الاختبار ...) .

٤ ـ كتابة الأسئلة التى تتناسب مع أهداف الاختبار ومراجعتها .

٥ ـ التأكد من مدى ملائمة الأسئلة للأهداف .

٦ ـ إعداد الاختبار والإرشادات اللازمة له .

٧ ـ إجراء الاختبار .

٨ ـ التصحيح وتقديم معلومات للتلاميذ عن مستوياتهم .

على أن هذه الخطوات بالطبع لا تمثل أسلوبا ينصح باتباعه في جميع الاختبارات حيث أن كثيراً من الاختبارات التى تبنى عليها قرارات هامة كالنجاح والرسوب تحتاج إلى مزيد من العناية فى وضع المواصفات وإعداد الاسئلة ومراجعتها وتجريبها وتحليلها للتعرف على مدى صلاحيتها قبل تطبيقها بشكل موسع .

لقد أريد من هذه العجالة إعطاء نبذة سريعة أرجو ألا يكون الاختصار قد أفقد كثيراً من قيمتها العملية وقلل من الفائدة المتوخاه من ورائها .

التوجهات المعاصرة في مجال التربية الخاصة ودور أسر الأطفال المعوقين

د. طارش مسلم الشمري

تقديم

لقد شهد مجال الخدمات للأفراد ذوي الإحتياجات الخاصة (المعاقين) تطورات وتحولات جوهرية ومهمة خلال الثلاثة أو الأربعة عقود الماضية . ولقد شملت هذه التوجهات المعاصرة مجالات عدة كالتربية والتعليم والتدريب والتأهيل والأدوار المنوطة بالجهات أو المؤسسات ذات العلاقة بالأفراد المعوقين وأساليب تقديم الخدمة لهم . فنجد مثلاً أن حتى السبعينات من هذا القرن كان الاتجاه السائد فى تقديم الخدمات الخاصة لذوي الاحتياجات الخاصة قائم على العزل (أى تقديم الخدمات فى مؤسسات أو أماكن معزولة عن المؤسسات والأماكن التى تقدم فيها الخدمة للأفراد العاديين). ولكن فى العقود الثلاثة الماضية شهد مجال التربية الخاصة (مجال تربية وتعليم المعوقين والموهوبين) مثلاً تغييرات فى فلسفة تقديم الخدمة ، حيث ظهر الاتجاه المسمى ب أقل البيئات عزلاً .

Least restrictive environment

والذي يهدف إلى تقديم الخدمة للطفل المعاق في البيئة الطبيعية كلما كان ذلك ممكنا . وتتدرج مستويات تقديم الخدمات التعليمية للأطفال غير العاديين (المعاقين والموهوبين) من أقل البيئات عزلا (الفصل العادي في المدرسة العادية) إلى أكثرها عزلاً (مؤسسات الإيواء الداخلية) وذلك حسب شدة الإعاقة . وبشكل عام فإن برامج الخدمات الخاصة للأطفال غير العاديين تتم من خلال أحد المستويات التالية :

* محاضرة قدمت ضمن ندوة الاعاقة الجوانب الطبية ودور الاسرة والمجتمع والمدرسة التي أقيمت بمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بتاريخ ٢٩/١١/١٤١٦هـ = ١٧/٤/١٩٩٦م .

١ ـ الفصل العادى دون خدمات متخصصة .

٢ ـ الفصل العادى المزود بمساعدة استشارية .

٣ ـ الفصل العادي المزود بمساعدة متخصصين متنقلين .

٤ ـ غرفة المصادر في المدارس العادية .

٥ ـ الفصل العادي والفصل الخاص لجزء من اليوم الدراسي .

٦ ـ الفصل الدراسي الخاص طيلة اليوم الدراسي .

٧ ـ المدرسة الخاصة طيلة اليوم الدراسي .

٨ ـ المؤسسات الداخلية (مستشفى ، مؤسسة إيواء ورعاية) .

ومن التوجهات المعاصرة الاخرى التى ظهرت في مجال تقديم الخدمات للأطفال المعوقين تقديم الخدمات الخاصة في مراحل مبكرة قبل بلوغ الطفل سن المدرسة . وهذا التوجه يسمى ب التدخل المبكر Early Intervention ويعمل على تقديم الخدمات الخاصة فى مرحلة ما قبل المدرسة ، وذلك للحد من تأثيرات الإعاقة السلبية على الطفل والاستفادة من سنوات ما قبل المدرسة في تنمية الكثير من القدرات والمهارات لديه . وهنا يتضح لنا مدى أهمية دور الأسرة في المساعدة في اكتشاف الإعاقة مبكراً لكي يمكن وضع برامج التدخل المبكر الملائمة لطبيعة ودرجة إعاقة الطفل .

وفي أواخر السبعينات من هذا القرن ظهر توجه نحو دمج الأطفال غير العاديين مع أقرانهم العاديين أثناء ، تقديم الخدمات الخاصة لهم . وهذا الاتجاه يسمى بالدمج .

Mainstreaming

ويدعو هذا الاتجاه إلى تقليص تواجد الأطفال المعوقين في معاهد أو مدارس أو مراكز معزولة عند تقديم الخدمات التى تلبي احتياجاتهم الخاصة ، وأن يكون تقديم هذه الخدمات التعليمية في المدرسة العادية كلما كان ذلك ممكنا وذلك حسب نوع ودرجة الإعاقة .

وفي السنوات القليلة الماضية ظهر اتجاه آخر في فلسفة تقديم الخدمات التربوية للأطفال المعوقين وهو ما يسمى بـ المدارس الشاملة أو الجامعة Inclusive Schools

ويدعو هذا الاتجاه إلى احتواء جميع التلاميذ منذ بداية التحاقهم بمراحل التعليم الأولى (الروضة ، التمهيدي ، مثلا) واستمرار تقديم الخدمات التعليمية لهم في المراحل التالية (الابتدائية ، المتوسطة .. الخ) وتقوم هذه الفلسفة على أن المدارس عليها مسئولية تقديم الخدمات لجميع التلاميذ بغض النظر عن ما إذا كانوا عاديين أو غير عاديين (معاقين) وذلك تمشياً مع مبدأ الإنصاف وإعطاء الفرصة للتعلم لكل تلميذ وتمشياً مع مبدأ مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ وأنهم لا يمتلكون جميعاً قدرات متساوية وليس بالضرورة أن يتعلموا جميعاً بنفس الطريقة وليس من الضروري أن يصلوا جميعاً إلى نفس المستوى من الإنجاز والكفاءة .

وكنتيجة لهذه التوجهات المعاصرة في مجال التربية الخاصة فإن النظرة إلى دور ومكانة أسرة المعاق قد تغيّرت أيضا. حيث نجد أن دور الأسرة بدأ بالازدياد والأهمية خلال الثلاثة عقود الماضية وأوجدت التشريعات والقوانين التى تكفل للأسرة القيام بدورها الفعال وتحملها لمسئوليتها فى كثير من الدول المتقدمة فى هذا المجال خاصة في مجال التدخل المبكر . ولقد ظهرت عدة نماذج لبرامج الخدمات موجهة نحو الأسرة Dunst, (1991) ويمكن تصنيف هذه النماذج على النحو التالي :

١ ـ النموذج المتمركز مهنياً Profes- (sionally - Centered) وينظر هذا النموذج إلى المهنيين المختصين على أنهم خبراء ، وبالتالي فهم الذين يقررون احتياجات الطفل وأسرته من وجهة نظرهم بغض النظر عن وجهة نظر الأسرة .

٢ ـ النموذج المتحد مع الأسرة Family - allied . يرى هذا النموذج أن الأسرة وسيلة بيد المهنيين ، لذلك يستفاد منها في تنفيذ ما يرونه مهماً وظيفياً للطفل وأسرته .

٣ ـ النموذج المركز على الأسرة Family - focused :

ينظر إلى الأسرة من خلال هذا النموذج على أنها مستهلكة للخدمات التي يقدمها المهنيون ، وعلى المهنيين أن يساعدوا الأسرة على الاختيار من بين خيارات ما يتلاءم واحتياجاتهم واحتياجات طفلهم الخاصة .

٤ ـ النموذج المتمركز حول الأسرة Family centered :

هذا النموذج يرى أن المهنيين المختصين أدوات مساندة للأسرة ويتدخلون بطريقة تضمن : (أ) الفردية ، المرونة ، والاستجابة الفعالة لاحتياجات الأسرة وطفلها .

(ب) دعم ومساندة أداء الأسرة لمهامها الوظيفية .

احتياجات أسرة المعاق :

تشير بعض الدراسات (Soderlund, Epstein, Cumblad, Petersen, 1995) إلى أن احتياجات أسرة الطفل المعاق سلوكياً وانفعاليا مثلا والتي تحتاج فيها إلى مساعدة هي كما يلي (مرتبة حسب الاهمية) :

١ ـ معرفة كيفية التحكم بسلوك الطفل .

٢ ـ توفر أنشطة ترفيهية للطفل خارج المنزل .

٣ ـ وجود وقت كاف للوالدين أنفسهما .

٤ ـ التخطيط بالاحتياجات الخدماتية المستقبلية للطفل .

٥ ـ توفر أساليب للتحكم بالضغط المرتبط بتوفير العناية للطفل .

٦ ـ الإجازة أو الاستمتاع والترويح كأسرة واحدة .

٧ ـ امتلاك مبلغ مالي يكفي بالاحتياجات الأساسية أو دفع الفواتير .

٨ ـ معرفة كيفية التحدث مع العاملين فى المؤسسة للحصول على خدمات أفضل للطفل .

٩ ـ الحصول على مساعدات مالية من المؤسسات الحكومية .

١٠ ـ التدريب بغرض الحصول على عمل للوالدين أو لأحد أفراد الأسرة .

١١ ـ مجموعة مساندة لأخوان وأخوات الطفل .

١٢ الحصول على مساعدة خارجية لتوفير الرعاية للطفل أثناء عدم تواجدنا في المنزل .

أما بالنسبة لأولية الخدمات لأسر الأطفال المعاقين سلوكياً وإنفعاليا فهي كما يلي (مرتبة حسب أهميتها) .

١ ـ الإرشاد المدرسي .

٢ ـ التدريب المهني .

٣ ـ الإعداد المهني .

٤ ـ العلاج الفردي للطفل .

٥ ـ البرامج الانتقالية .

٦ ـ مدارس بديلة .

٧ ـ معلومات عن الخدمات المحلية المتوفرة .

٨ ـ فصل دراسى خاص ملحق بالمدرسة العادية .

٩ ـ الدعم للوالدين من قبل المدرسة .

١٠ ـ العلاج الأسري .

١١ ـ برامج مدرسية صيفية ... الخ .

حاجات الوالدين (السرطاوي ، سيسالم ، ١٩٩٠م)

أ ـ حاجات لها علاقة بمشاعرهم نحو الطفل المعاق :

ـ معرفة أن اللوم للنفس أو الطفل لايجدي .

ـ المساعدة من قبل المهنيين ، والأقارب ، والأصدقاء ، والجيران .

ـ المساعدة في التخطيط لكيفية التعايش مع الطفل المعاق .

ـ المساعدة في تشجيعهم على الخروج من دائرتهم الضيقة والاتصال بالمختصين والجهات التى قد تساهم في معرفة مشاعرهم والتعامل معها .

ب) حاجات متعلقة بمشكلة طفلهم المعاق :

ـ مدى إمكانية علاج الإعاقة .

ـ المعلومات النظرية عن طبيعة الإعاقة وأسبابها وكيفية التعامل معها .

ـ معرفة كيفية التحدث مع المهنيين.

ـ معرفة كيفية التعامل مع الطفل داخل الأسرة .

ـ الاطلاع على الأهداف التربوية لبرنامج طفلهم المعاق .

ـ الشعور بأن المهنيين فى المدرسة أو المركز مهتمون بحالة طفلهم .

ـ معرفة المستقبل المتوقع لطفلهم .

معوقات مشاركة الأسرة في تاهيل الطفل المعاق

١ ـ معوقات ذات علاقة بالأسرة .

أ ـ نقص في المعلومات والمهارات .

ب ـ الاتجاهات السلبية نحو تحمل مسئوليات أكثر .

ج ـ قلة المصادر (الوقت ، الدعم المادي والمهني والمعنوي) .

د ـ أخرى (كون الأسرة تعيش في مناطق ريفية وبعيدة عن أماكن تقديم الخدمة) .

٢ ـ معوقات ذات علاقة بنظام تقديم الخدمة :

أ ـ الروتين : الاجراءات والقواعد الروتينية (اجراءات محددة للقياس ومدى أهلية الطفل للخدمة ، نسبة الذكاء ، .. الخ).

ب ـ المصادر : (قلة الوقت ، قلة المهنيين) .

ج ـ ضعف التعاون بين المهنيين.

٣ ـ معوقات ذات علاقة بالمهنيين :

أ ـ المعرفة والمهارات (قلة المعرفة والخبرة والتدريب للعمل مع الأسرة والنظر إليها كشريك) .

ب ـ الاتجاهات : (المهنيون الخبراء يعرفون ما هو أفضل للأسرة) .

٤ ـ الاختبارات والمقاييس :

قلة الاختبارات والمقاييس الصادقة والملائمة للأسرة .

وكما أن العملية التعليمية للأطفال ذوي الإحتياجات الخاصة ذات صبغة فردية وذلك خلال إستخدام الخطة التربوية الفردية Individulizcd Family Service Plan (IFSP) ، فإن نماذج تقديم الخدمات الخاصة للأطفال المعاقين تتطلب وجود خطة فردية لخدمة الأسرة Individulized Family Service Plan (IFSP) .

إن لكل أسرة طفل معاق فريدة من نوعها من حيث تركيبتها ومستواها المعيشي والتعليمي ، ولها احتياجاتها الخاصة والتي تتطلب وضع خطة خدمات فردية لتلبي تلك الإحتياجات . ولكي تتمكن الأسرة من أداء الدور المطلوب منها فيما يخص رعاية وتربية وتدريب وتأهيل طفلها فلا بد من أن يتوفرَ الدعم لهذه الأسرة بأشكاله المتعددة والمختلفة . وهناك مبادىء أساسية (Dunst, Johan-son, Trivette, Hamby, 1991) لدعم ومساندة الأسرة منها :

١ ـ العمل على تحسين مستوى الإحساس بالوحدة والتكامل والتعاون بين

أفراد الأسرة الواحدة ، والحي ، والمجتمع بوجه عام المبني على القيم والاحتياجات المشتركة والذي يضمن تلبية تلك الاحتياجات بشكل تكاملي .

٢ - بناء وتحريك أنظمة المساندة بشكل يخدم سير مصادر الدعم والمساعدات عبر قنوات تخدم أسرة الطفل المعاق ، وبناء وتقوية أساليب مساندة للأسرة غير رسمية بدلا من الإعتماد الكلي على أنظمة المساندة المعتمدة على المهنيين .

٣ - إيجاد أرضية مشتركة بين الآباء والمهنيين للاشتراك في تحمل المسئولية والعمل سويا لما فيه مصلحة الأسرة وطفلها .

٤ - العمل على حماية تكامل وسلامة الأسرة وذلك من خلال الاستفادة من مصادر المساندة المختلفة بأسلوب يقدر ويحترم معتقدات وقيم هذه الأسرة وخلفيتها الثقافية .

٥ - العمل على تقوية الأسرة وظيفياً وذلك من خلال دعم وتعزيز ما لدى أفراد هذه الأسرة من مهارات وقدرات بدلاً من التركيز الزائد على تصحيح جوانب الضعف أو النقص لديها وذلك لتمكين الأسرة من القيام بدورها ومسئوليتها على الوجه المطلوب .

٦ - العمل على تبني وإستخدام برامج خدمات إنسانية فعالة والتي من خلالها يكون التركيز على استخدام نماذج قائمة على الدعم والمساندة بدلاً من العلاج ، والنظر إلى الإسرة على أنها مستهلكة للخدمة وليس متلقية لها فقط .

إن تمركز أساليب ونماذج تقديم الخدمات الخاصة المعاصرة للأطفال المعاقين حول الأسرة يحتم على القائمين على تقديم مثل هذه الخدمات أن يراعوا ويقدروا دور الأسرة الفعال والأساسي في هذا المجال .

ولكي تقوم الأسرة بدورها المتوقع منها على أكمل وجه فلا بد من إتاحة الفرصة لها للقيام بهذا الدور وذلك من خلال تهيئتها وتدريبها .

تدريب الآباء والأمهات :

بما أن أفراد أسرة الطفل المعاق ، وخاصة الوالدين ، يعتبرون أعضاء مهمين وفاعلين في فريق تقديم الخدمات سواء

كانت تربوية أم تدريبية أم تأهيلية أم علاجية فالأمر يتطلب تزويد آباء وأمهات الأطفال المعاقين بالمعلومات الصحيحة عن الإعاقة وتدريبهم على أساليب التعامل مع أطفالهم وتربيتهم وتعليمهم . وهناك عدة مبررات وفوائد لبرامج تدريب والدي الطفل المعاق منها :

١ ـ إن لدى والدى الطفل الكثير من التساؤلات والتى قد لا يتاح لهم الإستفسار عنها من خلال البرامج التدريبية التى تجمعهم مع آباء آخرين من ناحية ، ومع إختصاصيين في المجالات ذات العلاقة بإعاقة طفلهم من ناحية أخرى .

٢ ـ تعتبر برامج التدريب فرصة للآباء للتعرف على الإختصاصيين الذين يعملون مع أطفالهم وكذلك التعرف على آباء آخرين لديهم احتياجات مماثلة مما يتيح فرصة النقاش والحوار وتبادل الخبرات والتجارب .

٣ ـ وجود الآباء في مثل هذه البرامج التدريبية مع اختصاصيين وآباء آخرين له آثار نفسية إيجابية على الآباء ويشعرهم بأنهم ليسوا وحدهم وإن هناك مصادر دعم ومساندة لهم مما يخفف عليهم الضغوط النفسية التى قد تواجههم .

٤ ـ شعور الآباء أن بإمكانهم تقديم شيء لأبنائهم والمساهمة الفعالة في تربيتهم وتعليمهم وتدريبهم ، بدلا من الإستسلام ووضع المسئولية على الجهات الأخرى التى ترعى طفلهم وتهتم به .

٥ ـ الوعي والإدراك بأهمية مساهمة الأسرة خاصة في السنوات المبكرة لنمو الطفل ، حيث أن لها تأثيراً على النمو اللغوي والإجتماعي والمعرفي لدى طفلها .

ومن الجوانب الأساسية التى يجب أن تتضمنها برامج تدريب الوالدين ما يلي :

١ ـ مراحل نمو وتطور نمو الطفل التي يمر بها من جميع النواحي (الجسمية ، العقلية ، النفسية ، الانفعالية ، والاجتماعية) .

٢ ـ أنواع الإعاقات وأشكالها وصفاتها ودرجاتها والصعوبات المرتبطة بها .

٣ ـ استراتيجيات تعديل وبناء وإدارة وضبط سلوك الطفل .

٤ ـ الأساليب والوسائل التعليمية التي تعينهم على تعليم وتدريب طفلهم .

٥ ـ أساليب جمع المعلومات حول سلوك الطفل .

٦ ـ توضيح الألعاب التعليمية المناسبة للأطفال .

٧ ـ ممارسة تعليم الأطفال تحت إشراف المختصين .

٨ ـ ملاحظة الاختصاصيين أثناء عملهم مع الطفل .

التطور الاقتصادي في العصور القديمة

د. محمد صفوت قابل

الفصل الأول

البداية :

الصيد والتقاط الثمار

(نظام المشاعية البدائية)

كيف بدأت قصة حياة الإنسان على الأرض ؟ وماهي المراحل التي مر بها ؟ وكيف كان يعيش ويحصل على قوته ؟ وكيف بدأت وتطورت النظم الاقتصادية التي حاول من خلالها الحصول على احتياجاته ؟ .

هذه التساؤلات وغيرها لم يتمكن الإنسان في العصور الحديثة من الإجابة عليها إلا من خلال علم الآثار والحفريات . فالإنسان يستطيع التعرف على الماضى القريب من خلال ما تركه الآباء والأجداد من مخطوطات تشرح حياتهم وآراءهم وتسجل ماحدث لهم وما تعرضوا له من من أحداث .

أما عصور ما قبل اكتشاف الكتابة ، وخاصة عصور البداية والتي لم يتطرق ذهن الإنسان الذي عاش فيها إلى أن يسجل ما يحدث له ، فإن معرفة ما حدث فيها يعتمد على الحفريات التى توضح بعض آثار هؤلاء الأجداد ، وكيف كانوا يعيشون . فعلماء الآثار يقومون بالتنقيب تحت الأماكن التى يعتقد أن الأقدمين قد عاشوا فيها ، وعندما يعثرون على بعض من عظام الإنسان أو بقايا الحيوانات المتفحمة أو القواقع أو عصى الحفر ، فانهم يحاولون من خلالها رسم

معالم تطور الإنسان على هذه الأرض .

وعن طريق الحفريات اكتشف علماء الآثار ثلاث مراحل من التاريخ الإنساني على وجه التقريب : مرحلة الصيد والتقاط الثمار ، ومرحلة الزراعة ، ثم مرحلة الحياة في المدن . وحين يقوم علماء الآثار بهذه الحفريات فإنهم يجدون بقايا هذه المراحل الثلاث بترتيب معكوس ، فقد عثروا تحت أقدم المدن مباشرة على أدوات الفلاحين ، وتحت مخلفات الفلاحين كانوا يعثرون دائما على أدوات أقدم جماعات الصيد وجمع الثمار . بل لقد استطاعوا أن يحددوا تواريخ تقريبية للأدوات والعظام التى اكتشفوها لأنه من المعروف أن المادة العضوية (البشرية والنباتية والحيوانية) تفقد نصف إشعاعها الكربوني كل خمسة أو ستة آلاف سنة . وقد دلتهم طريقة التاريخ عن طريق الأشعاع الكربوني هذه على أن أقدم المدن الانسانية قد شيدت منذ زهاء خمسة آلاف سنة ، وأن أقدم القرى التى تعتمد على الزراعة تعود إلى حوالى عشرة آلاف سنة [١] .

ويعتقد كثير من المؤرخين أن الإنسان في بداية حياتة على الأرض كان يحيا ويتنقل من مكان لآخر بحثاً عن عشب أو صيد يسد به رمقه ، ويلجأ للكهوف ليحتمى بها من ظلام الليل والوحوش وتقلبات الجو .

وبصفة عامة كان الإنسان يعيش بطريقة لا تختلف كثيراً عن الحيوانات، ولذلك يسمى بعض المؤرخين هذه البداية بمرحلة الوحشية . بل لقد اشتط البعض مثل داروين فى نظرية النشوء والارتقاء ليقول إن الإنسان في بدايته كان كالقرد ثم أخذ فى التطور ليقترب شيئا فشيئاً من شكله الحالى وطريقته في السير والأكل ، لذلك فإن غالبية التعريفات عن الحضارة تتفق فى أن الحضارة الإنسانية تعني تميز الإنسان بتصرفاته عن الحيوان .

---

(١) كافين رايلي ، الغرب والعالم ـ القسم الأول ، الكويت : سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٩٠ ، يونيو ١٩٨٥م ، ص ٣٥ .

ولكن إذا نظرنا إلى القصص الديني وما تقدمه من وصف وتفسير لحياة الإنسان منذ أن هبط أبوا البشر آدم وحواء إلى الأرض ، فإننا نجد أنه مع التزاوج والتكاثر بين أبناء آدم عليه السلام أخذ الجنس البشري في التزايد ، حيث كانوا يعيشون في مجموعات ، ومع تزايد العدد يفترق البعض عن الرهط الذي يعيشون فيه إلى مكان آخر بحثا عن الغذاء .

ومع استمرار الحياة أخذوا يكتسبون المزيد من المعرفة والعلم بالاضافة إلى ماتعلموه عن طريق أبيهم آدم ، الذى علمه الله الأسماء كلها ، بل لقد تعلموا كيف يوارون جثث موتاهم عن طريق التقليد للطيور ، فعندما تقاتل ابنا آدم وقتل أحدهما الآخر لم يدر ماذا يفعل بجثته فبعث الله غراباً ينبش في الأرض ليوارى طائراً آخر (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين) [1] .

وتعلموا كيف يصيدون الحيوانات الصغيرة ، وكيف يجمعون العشب والثمار ليقتاتوا بها . من هنا كانت البداية ، الفرد يبحث عن قوت يومه وخاصة من الثمار التى أينعت دون تدخل منه ، ولكى يحصل على هذا القوت عليه أن ينتقل من مكان لآخر ويصارع ما يعترضه من حيوانات يقدر عليها ويفر من تلك الوحوش الأقوى منه ، ويلجأ للكهوف ليحتمى بها ويسكن فيها . وكان الإنسان الأول يحيا في مجموعات يستأنس بها من الحيوانات ، ويحتمى بالمجموع مما يحيط بهم من مجهول (مثلما تفعل الحيوانات حين تسير في قطعان كبيره) . ولقد كانت البيئة هى التى تحدد الصراع بين روح العدوان ونزعة التعاون ، فقد يقاتل الإنسان إنساناً آخر زاحمه في ثمرة أو في أنثى يريدها لنفسه، ولكن في نفس الوقت لابد من التعاون بين الأفراد للابقاء على الذات .

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٣١ .

ويمكن القول أن الجماعات الأولى من البشر كانت تحيا في أماكن معينه على الأرض ، ثم انتقل البعض من مكان لآخر عندما أجدبت الأرض أو ذبلت الثمار أو جف الماء . ومع توغل البعض في الأرض ، ثم ما حدث من تغير في الأحوال المناخية ، انفصلت مجموعات البشر عن بعضها ، وأصبح لكل منها عالم خاص بها مؤسس على ما يوجد في هذه البقعة من وسائل حياة ومعيشة .

ولقد أخذ الإنسان الأول في التوطن والتجمع في المناطق التى تجاور المياه والتي يكثر بها الصيد . ومع طول المكث بهذه الأماكن قام الإنسان الأول بعمل مصادات للرياح مصنوعة من الأغصان والحجارة ، وأخذ يعد الكهوف ليسكن بها ومن ذلك نشأت المستوطنات البشرية الأولى .

كما كان اكتشاف النار ، من أعظم الاكتشافات للإنسان الأول ، فقد استطاع أن يستخدم النار في حماية نفسه من الحيوانات ، وعن طريقها استطاع عمل بعض الأدوات التي تعينه على الحياة مثل أدوات قطع الأشجار وغيرها من الأدوات البدائية ، كما استخدم النار في إعداد الطعام وبالتالي تطورت طريقة مأكله .

وكان هذا مدخلا لتقسيم العمل البدائى بين الرجل والمرأة ، حيث أصبح على الرجل مهام الصيد والقنص وجمع الثمار وتحددت مهمة المرأة فى إعداد الطعام وتربية الأبناء .

والآن نستطيع أن ندرس ونصف هذا العصر الحجرى القديم من خلال مايلي :

اولاً: البنيــة الاجتماعية :

سبق القول أن الإنسان الأول كان يعيش في مجموعات لتتوافر الحماية في ظل المجموع ، بالإضافة للخروج سوياً للصيد .

ويعتقد الكثير من المؤرخين أن نظام الأسرة لم يكن معروفاً في هذا العصر السحيق ، بل كان هناك نوع من المشاعية في العلاقات بين الرجل والمرأة . ويتحدث علماء الانثروبولوجيا عن النظام الأمومى النسب والنظام الأمومى المركز ، فالجماعة الأمومية النسب هي جماعة

يتقرر فيها النسب والميراث عن طريق العلاقة بالأم ، أما الجماعة الأمومية المركز فهى جماعة ينتقل فيها الزوج ليعيش مع أهل زوجته .

ولقد تطورت العلاقة بين الرجل والمرأة من المشاعية إلى الزواج الجماعى مع الايثار ، ثم انتهى الأمر إلى الزواج الفردى ، وترتب على هذا التطور أن أصبح الأبناء ينسبون إلى الأب ، وبالتالى أصبح المجتمع مجتمعاً أبوياً ، وأدى ذلك إلى ظهور الأسرة باعتبارها الوحدة الأساسية في المجتمع بعد أن كانت العشيرة هى الوحدة الاقتصادية والاجتماعية .

ويمكن القول أن هذه المجتمعات البدائية لم تشهد تمايزاً طبقياً ، ويرجع ذلك إلى اختفاء الملكية الفردية حيث كانت هناك الملكية الجماعية لأدوات الإنتاج ، لأن الفرد كان يعمل ضمن المجموع وذلك لأن ظروف الحياة وقتئذ كانت من القسوة بحيث كان الإنسان أضعف من أن يصارع الطبيعة أو الحيوانات المفترسه وحده ، مما جعله يحتمي بالجماعة ويعمل من خلالها للحصول على غذائه واحتياجاته .

كما لم تكن هناك بالطبع سلطة بالمعنى المفهوم لذلك ، بل كان هناك شيخ للعشيرة يلجأ إليه الأفراد عند اختلافهم على شىء ، وكان عادة أكبر أفراد العشيرة سنا ولم يكن يتقاضى عن ذلك مقابلا مميزاً .

وسنجد في مرحلة تالية وخاصة مع اكتشاف الزراعة وتفتت العشيرة إلى وحدات أصغر وهى الأسر ، أن الملكية الفردية ستأخذ في الظهور مع ما يصاحب ذلك من تمايز طبقى بين الأفراد والأسر .

ثانيا : المعتقدات والافكار السائدة :

لاشك أن العلاقات بين أفراد المجتمع والنظام الاقتصادي السائد تتأثر إلى حد كبير بالمعتقدات والآراء التى يعتنقها من بيدهم السلطة في المجتمع .

وبالنسبة للعصر الحجرى القديم فإنه لا يمكن القول أنه كانت هناك أفكار وآراء عن كيفية العلاقات والنظم في هذا

المجتمع ، لأن المجتمع بشكله الدائم كان في حالة تكوين ، وكان كل ما يهم الإنسان فى أولى خطواته على الأرض أن يبحث عن قوته وما يكسوة مما يجده أمامه، وأن يقي نفسه من أخطار الطبيعة حوله ، وبالتالي لم يشغل باله بالطبع بغير ذلك .

أما معتقدات الإنسان الأول فكانت تلك التعاليم التى تلقاها أبو البشر آدم من الله عند نزوله للأرض ، ومع تقادم العهد أخذ الإنسان الأول في نسيان هذه التعاليم ، مما أفسح المجال للخرافات لتسيطر على تفكيره ومعتقداته ، ولأنه كان يقف مشدوها أمام الظواهر الكونية من حوله ويعجز عن فهمها ، فلقد أخذ ينظر إلى هذه الظواهر كمقدسات ، وأصبح لكل ظاهرة يراها اله يتحكم فيها ، وبالتالي تعددت الآلهه فهناك اله المطر ، وإله الريح ، واله للخصب والنماء، وإله للبحر ... وهكذا .. ويلاحظ أن أقدم ما اكتشفه علماء الآثار من تماثيل هي تلك التى تمثل المرأة الحامل الولود ، ويعتقد هؤلاء العلماء أن هذه التماثيل كانت أصناما معبودة ، ويدل على ذلك بعض الصفات المشتركة في معظم هذه التماثيل الأنثوية ، فهى مطلية بطمى أحمر يبدو أنه كان مخصصا للمقدسات ، وكثير منها وجد قريبا مما يبدو وكأنه نيران مذبح بجانب عظام متفحمة لعلها بقايا قرابين حيوانية ، وبالطبع كانت هذه التماثيل التى يرمز بها للخصب والنماء تمثل واحداً من الآلهه المتعددين الذين اعتقد بوجودهم انسان هذا العصر القديم .

وبالإضافة لذلك كان السحر من المعالم الأساسية في هذا العصر ، وكان هذا طبيعياً لأنه عندما يعجز الإنسان عن السيطرة على الطبيعة من خلال فهم قوانين حركتها ، فإنه يلجأ للقوى الخفية علها تساعده فى منع ضرر هذه القوى ومحاولة تسخيرها لما يفيدة .

ثالثا : النظام الاقتصادي

يمكن وصف النظام الاقتصادي في العصر الحجري القديم بأنه نظام بدائى يعتمد أساسا على المشاعية ، حيث لا

توجد ملكية فردية ، ويتعاون الجميع في الصيد وإقامة ما يلزم لمعيشتهم .

وكان الهدف الأساسي للنشاط الاقتصادي في هذا العصر هو الإشباع المباشر للحاجات وذلك عن طريق الصيد والتقاط الثمار لسد حاجة الغذاء ، واستخدام جلود بعض الحيوانات لستر العورة ، وإعداد الكهوف والنتوءات الجبلية لتصلح للسكنى ، وبالتالى كان الاستهلاك المباشر والاكتفاء الذاتي السمة الأساسية للنشاط الاقتصادي ، ولم تكن المبادلة قد ظهرت بعد ، حيث كانت السلع يمكن اعتبارها سلعاً حرة ، يحصل عليها من يريد ، وبالتالى لم يكن هناك داع للمبادلة .

واختلفت أهمية منطقة عن أخرى بالنسبة للإنسان الأول تبعاً لما يوجد بها من مقومات مادية تلزم لحياته . وكان جل هذه المقومات ينحصر في الثمار التى يستخدمها في مأكلة ، وقنص ما يستطيع من طيور وحيوانات ، والمياه التى تلزم لمشربه . وكانت هذه المقومات يحصل عليها الإنسان مما يجده حوله وما تمنحه له الطبيعة دون تدخل منه .

ولقد تكرس انفصال الإنسان عن عالم الحيوان حين استخدم عقله ، ليصنع بعض الأدوات التي تساعده في الحصول على مأكله ، وفي الإيقاع بالحيوانات سواء ليأكلها أو ليحمى نفسه منها . وبالتالي لم يعد يجرى خوفا وهربا من الحيوانات الكبيرة كما كان يفعل سابقا ، بل أخذ يواجه هذه القوة الحيوانية بالعقل.

ومن أمثلة هذه الأدوات البدائية فأس بدائى صنعه الإنسان من تكسير الحجر وصقله ، وبالتالي استخدم هذا الحجر في قتل الحيوانات الصغيرة واجتثاث البذور والحشائش التى يأكلها . كما استخدم العصى من فروع الاشجار وليصنع منها الحراب المدببة . ولأن الاختراعات وليدة الحاجة ، فلقد أعمل الانسان فكرة ليصنع من الأدوات ماهو في حاجة إليها لمواجهة الطبيعة المحيطة به ، فاستطاع أن يصنع أدوات بدائية يستخدمها في القطع والشق والحفر والضرب والفصل والتقطيع . وبالتالى استطاع مواجهة الحيوانات الأضخم منه ،

ومع تزايد قــدرته على مــواجــهــة الحـيــوانات الكبـيــرة بدأ يعــمل على اصطيـادها ليـتـغـذى بهـا بعـد أن كـان الصيـد من الحيوانات الصغيـرة البطيـئة الحركة .

ولقد كان العمل الجماعى هو أساس النشـاط الاقـتـصـادي ، لأن الفـرد كـان لا يستطيع مواجهة العوامل الطبيعية وحده فـاسـتـعـان بمن تربطه بهم صلة القـربى ، لكى يعـملوا سويا للحصـول على الطعـام ومع تطور قوى الإنتاج واكتشـاف الزراعة وتعـدد الحـرف اختـفت الحاجة إلى العـمل الجـمـاعى ، حـيث لم يعـد الحـصـول على الحاجة يتطلب اندماج الأفـراد في وحدات انتاجية كبيرة ، كما اختلفت إنتاجية كل حـرفـة عن الأخـرى ، مما أدى إلى عـدم العـمـل بالقـواعد التى كـانت ساريه في مجتمع المشاعيـة البدائية ، حيـث أخذت تختفى تدريجياً الملكية المشاعيـة لوسائل الإنتاج وبعد التوزيع المتساوي للمنتجات على أفراد القبيله بدأ يظهر نظام المبادلة وأصبحت الأسرة هى الوحدة الاقـتـصـادية الأساسية في المجتمع .

وفي المراحل الأولى للمشاعيـة ، كـانت هناك المسـاواة بين الأفـراد وإن كـان التـمـيـز للأكـثـر قـوة بدنيـة ثم مع التطور والتـوطن أصبح لكل عـشـيـرة زعـيم وكـان قـادة القبـائل يختـارون بحكم كـبر السن ، أو لتوارث معلومات أسطورية أو دينية ، وكانوا يمثلون المصالح المشتركة ويقومون بإدارتهـا مـقـابل امـتـيـازات بسيطة حيث كانوا فقط « الأوائل بين الأنداد » لأنه لم يكن هناك فـائض عـمـل كـاف يمكن أن يكون أساسا لانفصالهم طبقياً عن سائر أفراد القبيلة [١] .

---

(١) أحمد صادق سعد ، تاريخ مصر الاجتماعي ـ الاقتصادي ، بيروت : دار ابن خلدون ، الطبعة الأولى ـ ١٩٧٩ ، ص ١٤ .

الفصل الثاني

اكتشاف الزراعة

يؤرخ للعصر الحجرى الحديث من عام (٨٠٠٠) قبل الميلاد ، حيث أصبحت الزراعة والرعى أساس النشاط الاقتصادي في هذا العصر . فبعد أن كان الصيد وجمع الثمار يعتمد على ما يجده الإنسان حوله دون تدخل منه ، جاءت الزراعة كأول خطوة في محاولة الإنسان للسيطرة على الطبيعة ، حيث تعلم أن يغرس البذور ليحصل بعد فترة على محصول أكبر مما يجده في الطبيعة ، وتزامن ذلك مع توصل الرجال لكيفية استئناس الحيوانات والتحكم فيها بعد أن كانوا يطاردونها من قبل أن يفرون هم منها .

ولقد وقع هذان الحادثان : اكتشاف الزراعة واستئناس الحيوانات، لأول مرة في مصر الفرعونية والهند والصين ، ومع حلول عام (١٥٠٠) ق م كان أغلب سكان العالم يعيشون في العصر الحجرى الحديث أو ما يسميه العلماء بالعصر (النيثوليثى) . وقد أطلق علماء الآثار على هذا العصر اسم النيوليثى لأنهم وجدوا في بقايا آثار المستوطنات الزراعية الأولى أدوات حجرية مصقولة صقلاً ممتازا وأكثر إرهافا من الأدوات المشطوفة التى كانت تستخدم في العصر الحجرى القديم (العصر الباليوليثى) حيث الحجر المصقول أنجح فى اقتلاع الأشجار وفى إعداد الأرض للزراعة .

أولاً : البنية الاجتماعية :

سبق القول أن طبيعة النشاط الاقتصادي في العصر الحجرى القديم ، والذي كان يتمثل في الصيد وجمع الثمار، قد استلزم تواجد الإنسان في

مجموعات كبيرة نسبيا . وهي العشيرة أو القبيلة والتى كان رباط الدم هو ما يربط بين أفرادها . ومع اكتشاف الزراعة والرعى ، وما استتبع ذلك من قيام مجموعة صغيرة بزراعة الأراضى ورعايتها ، فلقد أنقسمت العشيرة إلى وحدات أصغر هي الأسرة ، التى أصبحت الوحدة الاقتصادية الأساسية ، حيث كان يتم تقسيم الأراضي على الأسر بحيث تقوم كل أسرة بزراعة نصيبها من أرض العشيرة .

مكانة المرأة :

يرى بعض المؤرخين أن النساء هن اللائى ابتكرن الزراعة . فقد كن نظراً لقيامهن بجمع الثمار أكثر معرفة بعالم النباتات ، فعرفن السائغ من السام ، وأسهل النباتات زراعة وأوفرها غلة ، كما كن مزودات أيضا بأقدم أداة إنسانية وهي عصا الحفر التى يمكن استخدامها في غرس البذور ، ثم في جنى المحصول واجتثاث الجذور [1] .

ويضيف البعض أن مجتمعات ذلك العصر قد بوأت المرأة مكانة عالية لدرجة أن بعض الآلهة كانت من الإناث [2] .

ولقد تدهورت مكانة المرأة بعد ذلك وخاصة مع ظهور الانتساب للأب والاستقرار في منزله ، وساعد على ذلك أن الرجال قد أصبحوا يقومون بالأعمال التى كانت النساء يقمن بها سابقاً مثل فلاحة الأرض وصناعة القدور والفخار والخزف وخاصة مع اختراع عجلة صناعة الخزف .

وفي الوقت الذي زاد فيه الرجال من سلطانهم على النساء بدءوا يسنون القوانين لتأكيد هذا السلطان .. ومن أقدم المدونات القانونية التى وصلت إلينا من هذه المدن الأولى قوانين الملك حمورابي ملك بابل ، والتى دونت حوالى ١٧٥٠ ق. م ويتضح من هذه القوانين أن النساء كن ملكا لأزواجهن أو آبائهن ، ويملك الزوج أن يقدم زوجته لدائنيه ضمانا لديونه ، ولم يكن القانون ليقتضيه أن يسدد ديونه طالما كانت زوجته ضمانا لهذه الديون لمدة

(١) كافين رايلى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٠.

(٢) (2) Jacquetta Hawkes , Prehistorv , N.Y, 1963 P. 365.

حددت بثلاث سنوات في بداية الأمر ثم امتدت الى أجل غير مسمى ، وقد أصبح بعد ذلك نظام الاستدانة بضمان الزوجة نظاماً مربحا للغاية في تجارة الرقيق .[1]

السادة والعبيد :

أدت الزراعة إلى وفرة الإنتاج وزيادته عن الاحتياجات المعيشية للفرد ، ومع ظهور الملكية الفردية تحول الإنتاج من الإنتاج للاستهلاك الذاتى إلى الإنتاج للمبادلة ، وكان من مصلحة الفرد أن يزيد ما بحوزته من إنتاج ليستخدمة فى الحصول على المزيد من الأشياء الأخرى . من هنا بدأ استغلال الإنسان للإنسان ، وكان أسرى الحروب التى تنشب بين القبائل هم أول من تعرضوا للاستغلال حيث تحولوا إلى عبيد محرومين من كافة الحقوق ويستخدمهم سادتهم في زيادة ثرواتهم .

وهكذا تميزت المرحلة الأخيرة من العصور القديمة بظهور السادة والعبيد ، وأصبح المجتمع مقسما إلى ثلاث مجموعات (طبقات) : فهناك أولاً السادة الذين يملكون العبيد ولا يقومون بأية أعمال إنتاجية ، بل يقوم العبيد بالعمل لهم . وهناك ثانياً مجموعة الأفراد الأحرار الذين لا يملكون عبيداً ويقومون هم بالعمل لأنفسهم ولأسرهم . ثم هناك ثالثاً طبقة العبيد الذين لا يملكون أى شىء ويتحكم فى مصائرهم سادتهم .

---

(١) كافين رايلي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٢ .

الحكام والقادة : (١)

سبق القول أنه في المراحل الأولى للمشاعية كان قادة القبائل هم الذين يتولون إدارة المصالح المشتركة لأفراد القبلية مقابل امتيازات بسيطة ، كما لم يكن هناك قادة دائمين وعندما استقرت القبائل والعشائر في مشتركات زراعية، قام الزعماء بأعمال الإدارة الاقتصادية من حيث تحديد كمية الماء لكل قطعة وموعد ريها ثم التنسيق أو الصدام مع المشتركات المجاورة لتوزيع المياه ، والتحالف معها أحيانا لصد هجمات الرعاة ، كما استمر هؤلاء القادة فى تولى الوظائف الدينية وأعمال السحر .

وكان طبيعياً أن يكون لهم شيء من النفوذ حيث يتمثل في أشخاصهم رمز العشيرة وحقها في الأرض .

ومع تقدم الأساليب الانتاجية وظهور فائض العمل استطاعت الأقلية القائدة أن تصبح حاكمة ومستغلة فى آن واحد . واتحدت قيادات المشتركات القروية في قيادة أو أحلاف أقليمية ، ثم على نطاق البلاد حيث أخضع سيد واحد القيادات القبلية وحولها إلى موظفين تابعين له .

وترتب على ذلك أن الامتيازات البسيطة التى كان القادة يحصلون عليها مقابل مهامهم قد تحولت إلى امتيازات فاصلة بينهم وبين الكادحين ، وأصبحت هناك التزامات على سكان القرى عليهم تأديتها دون مقابل ، كما انتقل الحق الأعلى على الارض من زعيم المشترك القروى الى زعيم الأقليم ثم إلى الملك .

ثانياً : المعتقدات والأفكار السائدة :

كانت المعتقدات والأفكار السائدة في العصر الحجرى الحديث هي نفسها التى كانت سائدة في العصر الحجرى القديم من حيث بساطة الأفكار وعدم الاهتمام بغير المحسوسات في حياة الإنسان . ولجهل الإنسان بكيفية عمل الظواهر الطبيعية فلقد تعددت الآلهة وشاع الإيمان بالسحر والسحرة .

---

(١) احمد صادق سعد ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤ .

ونتيجة لاكتشاف أهمية الخصوبة الزراعية ، فلقد اتجه تفكير الشعوب الزراعية إلى اصطناع آلهة للخصوبة كن من الإناث لاقتران خصوبة الأرض لديهم بخصوبة النساء ، وكانت الآلهة الكبرى لديهم هن اللواتي يحيين الأرض بعد موتها فتزهر وتثمر . ولكن مع ازدياد أهمية الرجال في هذه المجتمعات ، وهيمنتهم على المدن الناشئة فلقد تم تعديل العقيدة لتناسب هذا الوضع الجديد، فأصبح هناك الأرباك بدلا من الربات ، بل إن الآلهة المقترنة بالزراعة صارت مذكرة . كأزوريس في مصر وباخوس في اليونان .

ومع استقرار الأفراد حول مصادر المياه القريبة من الأرض الزراعية ، ومع تقدم الزراعة بحيث أصبحت تسد احتياجات أعداد متزايدة من السكان أصبح البعض لا يضطر إلى العمل في الحقول ، وبدأت المدن في النشوء والازدهار ، وقد عثر الأثريون على بقايا أول المحاريث الثقيلة التى تجرها الثيران جنباً إلى جنب مع أطلال المدن الأولى في كثير من المناطق التي نشأت فيها أولى قرى العصر الحجر الحديث ، ولكن بعد حوالي خمسة آلاف سنة مما يدل على تحول القرى إلى مدن فى هذه الأحوال . ، وقد تطلب هذا التحول فكراً جديداً لإدارة هذه المدن والمجتمعات .

وتتصف الحياة في هذه المدن بالاستقرار والأمان بفضل الأسوار التى عملت على حماية أهلها من غارات الرعاة ، وفي داخل هذه المدن تعددت الأجناس الى تتحدث بلغات مختلفة وتختلف في طرق تفكيرها ومعيشتها مما أتاح الفرصة للتفاعل بين هذه الأجناس والانصهار فيما بينها .

وقد تطلب تنوع الناس وتعدد اللغات وسيلة للتفاهم المشترك تمثلت أساساً في اختراع الكتابة وتشريع القوانين التى تنظم الحياة بين الأفراد في هذه المجتمعات .

ويسمى المفكرون الاشتراكيون الزراعة التى تعتمد على الرى الصناعى بالنمط الأسيوى للإنتاج ، ويتسم هذا النمط من الإنتاج باعتماد الزراعة على

الري الصناعى ، وبالتالى ضرورة حفر القنوات والمصارف وتقنين توزيع المياه ، مما يتطلب إنشاءات عامة ضخمة للتحكم في النهر وإنشاء السدود والقنوات ، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال سلطة عليا على جانب كبير من الحزم بحيث تفرض ما تراه للصالح العام على الجميع حتى وإن تعارض ذلك مع بعض المصالح الخاصة .

ثالثاً : النظام الاقتصادى :

يمكن تصنيف النظام الاقتصادى فى العصر الحجرى الحديث والقائم على الزراعة بأن نظام يعتمد على الملكية العامة للأرض والتى تعود ملكيتها إلى العشيرة أو القبيلة التى تقوم بزراعتها . ولكن فى مرحلة تاليه ونتيجة الحاجة إلى سلطة عليا لضبط عملية الرى والزراعة ، فقلد تحولت ملكية الأرض إلى الملك الذي يسيطر على كل الأقاليم .

ولاشك أن معرفة الإنسان للزراعة كانت من أهم المتغيرات التى حدثت فى العصور القديمة ، والتى من خلالها بدأ الانسان محاولات للسيطرة على الطبيعة .

ولقد أدى هذا الاكتشاف إلى تحويل كبير في حياة الإنسان تتمثل في الآتي :

١ ـ بعد أن كان الإنسان يعتمد في غذائه على ما يلتقطه من ثمار أصبح يقوم بزراعة النباتات التي يستخدم محصولها في غذائه وبالتالي خلقت الزراعة أو شكل من أشكال الوفرة في الإنتاج .

٢ ـ استتبع ذلك أن يستقر الإنسان بجانب الأرض التى وضع البذور بها لينتظر مرحلة الإنبات وجني المحصول، ومن هنا بدأت المستوطنات

الأولى فى الظهـور والتى تقنطهـا عشيرة يجمع بين أفرادها صلات القربى . وبذلك تخلى الإنسان نسبيا عن الترحال وبدأ فى الاستقرار وتكوين المجتمعات .

٣ ـ كمـا أدت معرفـة الزراعـة إلى ظهـور التـقـسـيم الثـانى للعـمـل ، حـيث تخـصص بعض الرجـال فى أعـمـال الزراعـة وتخـصص آخـرون في أعـمـال الرعى ، ثم استدعت الزراعة أيضا مزيداً من الأعمال والحـرف المرتبطة بهـا والتى تخـصص البـعض فـيـهـا مثل بناء الصـوامع وحرفـة صناعـة النسيج وصناعـة الأدوات اللازمـة للزراعـة ، وخاصـة مع اكـتـشـاف الإنسـان للمـعادن والتـوصل الى تشكيلهـا ، لذلك يسمى بعض المؤرخين هذا العصر بالعصر البرونزى ثم تبعه العـصـر الحديدي عندما عرف الإنسان كيف يستخدم الحديد ويصنع منه آلاته وخاصـة صنـاعة المحـراث الذى أدى اسـتـخـدامـه إلى زيادة المسـاحـات المنزرعة .

٤ ـ كما ترك الإنسان الإقامة فى الكهـوف ليـبـقى بجـوار الأرض التى زرعـها ، وبالتالى أخذ يحاول ، حتى تعلم كيف يبنى له منزلا بما توافر له من أدوات ووسائل وخاصة الحجارة .

٥ ـ وظهـرت أهمـيـة الأرض باعتبـارها التربة اللازمة للزراعـة ، لذلك بدأ اهتـمـام الإنسـان بضـرورة اقـتنائهـا ، وكـانت الأرض فى البداية تعـتـبـر ملكيـة جمـاعـيـة ، وتوقف انتفاع الأفراد بها على انتـمـائهم للعـشـيرة التى تدخل الأرض فى نطاق إقامتها ، وفى البداية كانت الأرض تسـتـغـل بصـورة جـمـاعـيـة بواسطة أفـراد العشيرة ثم في مرحلة تاليه بدأ تخصيص قطعة أرض لكل أسره حسب عدد أفرادها وتركت المراعى والغابات ملكية جماعية .

٦ ـ خلفت الزراعة أول شكل من أشكال الوفرة ، حيث كان ناتج المحصول أكثر مما يحتاجة الأفراد من غذاء مما أدى إلى قيام نظام المبادلة أو المقايضة بين السلع المختلفة .

٧ ـ تعلم الرجال ترويض الحيوانات والسيطرة عليها في قطعان كبيرة ، وبالتالى إمكانية تكاثرها وهي أسيرة المرعى ، مما وفر مصدرا كبيراً للغذاء يكفي لتقديم ما تحتاجه مجموعات كبيرة من البشر من الطعام . ثم استخدمت الحيوانات في الزراعة وخاصة في حرث الحقول ذات المساحات الواسعة بعد أن كانت الزراعة تعتمد من قبل على زراعة قطع صغيرة باليد .

وهكذا نجد أنه مع اكتشاف الزراعة تحول النشاط الاقتصادي الأساسي إلى ممارستها وما ارتبط بها من عمليات إنتاجية ، مثل صناعة الأدوات الزراعية ، وبناء الصوامع لتخزين المحصول ، وشق الترع ، ومع استئناس الحيوانات وتربيتها أصبح الرعى حرفة أساسية لمجموعة من الأفراد ، بالإضافة إلى احتراف البعض لصيد السمك والحيوانات وخاصة مع اختراع وصناعة القوس والسهم .

وبعد أن كان الهدف الأساسى للنشاط الاقتصادي في العصر الحجرى هو الاكتفاء الذاتي وإشباع الحاجات الأساسية عن طريق الاستهلاك المباشر لما يحصل عليه الإنسان من حاجات . تطور الأمر في العصر الحجرى الحديث مع اكتشاف الزراعة ووفرة المحاصيل بالنسبة للاحتياجات المباشرة إلي المبادلة ، وكانت المبادلة تتم فى إطار جماعي ، حيث كانت القبائل الرعوية تبادل الماشية بالمنتجات الزراعية ، وبالتالي أصبحت الماشية هي الأداة الأساسية للتبادل وهو ما يسمى بالنقود السلعية .

المكان

" قصة قصيرة "

بقلم : محمد المنصور الشقحاء

لحظة وينفجر الموقف . الساعة الواحدة والنصف صباحاً ، وأنا أقف مع مجموعة من الرجال والأطفال أمام بوابة صالة النساء في قصر أفراح الحياة الذي أشعلت أضواؤه المكان .

كان وقوفي الحائر والمرتبك دليلاً علي سريان قلق من سبقني إلى البوابة حيث لا يوجد بواب . ولا يدري أي واحد من الواقفين كيف يعلن اسمه حتى تخرج أسرته . جميع الوجوه غريبة المعالم .

صوت الغناء يتردد مكتوما بين جنبات المكان . وفي الباب نتوء أشار أحدهم بأنه مركز نداء يستطيع كل فرد أن يقرب فمه منه ويعلن اسمه حتى تسمع عائلته بتواجده ، وبالتالي تخرج دون عناء . تكومنا حول النتوء . وتساءل البعض عن صحة الموقف وجاء بعض الأطفال يعلنون أن بعض النساء يرفضن الخروج حتى يشاهدن زفة العروس .

ومن خلال قلقي تقهقرت إلى جدار الفناء الذي يطل عليه مدخل صالة النساء وأخذت أتأمل الجميع . تراودني فكرة دعوة أحد الأطفال وتكليفه بالبحث عن زوجتى التى أحضرتها في العاشرة ليلا على أن أعود لآخذها في الواحدة .

وجلست في الدار مع أبنائي أمام التلفزيون وتقليب بعض الصحف حتى الساعة الثانية صباحاً .

أرتال من النساء والأطفال يخرجن من صالة النساء والواقفين حولي من الرجال ينسل من بينهم من وقت وآخر واحد أو اثنان في طريقه إلى عربته المحشورة في الممرات المحيطة بقصر الأفراح وقد سارت وراءه أسرته .

رائحة العطور النسائية تملأ المكان. وإحداهن تنزلق أمامنا ويتداركها مرافقاتها . العباءات المختلفة الموديلات تشي عن ما بداخلها من أجسام

وملابس وعقود وخواتم الذهب . بعض العيون تتلصص بجرأة من فتحات البراقع أو الحجاب الخفيف .

تلتقي من وقت لآخر نظراتي بنظرات مارقة ملثمة ..

تقدم طفل لا أدري شكله من المكان الذي أقف فيه :

ـ عائلة سعد الأحمر ..

كان صوته خافتا وهو يتأمل الواقفين .. أشرت له واقترب مني . أعاد النداء :

ـ عائلة سعد الأحمر ..

هززت رأسي بالإيجاب ، واختفى في بوابة الصالة ..

الساعة الثانية والنصف ..

كانت زوجتى تخرج من خلف السيارات المتكومة أمام البوابة تختفي معالمها خلف العباءة الثقيلة .. وقبل أن تصل إلي تعثرت خطواتها فانكبت على وجهها .

ضحك الرجل الواقف بجانبي .. أخذت أتأمله غادرت مكاني . اتجهت نحو العربة ..

قمر في بغداد

لابن زريق الغدادي

لا تعذليه ، فإن العذل يولعه
قد قلتِ حقاً ، ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حداً أضر به
من حيث قدرتِ أن اللوم ينفعه
فاستعملي الرفق في تأنيبه ، بدلاً
من عذله ، فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالخطب يحمله
فضيقت بخطوب الدهر أضلعه
يكفيه من لوعة التشتيت أن له
من النوى كلّ يوم ما يروّعه
ما آبَ من سفر إلا وأزعجه
رأي الى سفرٍ بالعزم يزمعه
كأنما هو في حلّ ومرتحل
موكّل بقضاء الله يذرعه
إن الزمان أراه في الرحيل غنىً
ولو إلى السدّ أضحى وهو يزمعه
وما مجاهدة الانسان توصله
رزقاً ، ولا دعة الانسان تقطعه

قد وزع الله بين الخلق رزقهمو
لم يخلق الله من خلق يضيعه

لكنهم كلفوا حرصاً ، فلست ترى
مسترزقاً ، وسوى الغايات تقنعه

والحرص في الرزق ـ والأرزاق قد قسمت
بغي ، ألا إن بغي المرء يصرعه

والدهرُ يعطي الفتى ـ من حيث يمنعه ـ
إرثا ، و يمنعه من حيث يطمعه

* * * * *

استودع الله في بغداد لي قمراً
« بالكرخ » من فلك الأزرار مطلعه

ودعته وبودّي لو يودعني
صفو الحياة ، وأني لا أودعه

وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحىً
وأدمعي مستهلات وأدمعه

لا أكذب الله ثوب الصبر منخرق
عني بفرقته ، لكن أرقعه

إني أوسع عذري في جنايته
بالبين عنه ، وجرمي لا يوسعه

رزقت ملكاً فلم أحسن سياسته
وكلٌ من لا يسوس الملك يخلعه

ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا
شكر عليه ، فإن الله ينزعه

اعتضت من وجه خلي ـ بعد فرقته ـ
كأساً أجرَّع منها ما أجرَّعه
كم قائل لي : ذقت البين ، قلت له :
الذنب والله ذنبي لست أدفعه
ألا أقمت فكان الرشد أجمعه ؟
لو أنني يوم بان الرشد أتبعه
إني لأقطع أيامي ، وأنفدها
بحسرة منه في قلبي تقطعه
بمن إذا هجع النوام بتُّ له
بلوعة منه ـ ليلي ، لست أهجعه
لا يطمئن لجنبي مضجع ، وكذا
لا يطمئن له مذ بنتُ مضجعه
ماكنت أحسب أن الدهر يفجعني
به ، ولا أن بي الأيام تفجعه
حتى جرى البين فيما بيننا بيد
عسراء ، تمنعني حظي وتمنعه
قد كنت من ريب دهري جازعا فرقاً
فلم أوقَّ الذي قد كنتُ أجزعه

* * * * *

بالله يا منزل العيش الذي درست
آثاره ، وعفت مذ بنتُ أربعة
هل الزمان معيد فيك لذَّتنا
أم الليالي التي أمضته ترجعه

في ذمـــــة الله من أصـــــبــــــحـــــت منـــــزلـه
وجــــاد غـــيـــث على مـــغـنـــاك يمرعــــــه
من عنـــــده لي عـــهـــد لا يضـــيـــعـــه
كـــمـــا له عـــهـــد صـــدق لا أضـــيــــعــــه
ومـــن يصـــدِّع قلــــبي ذكـــــره ، وإذا
جـــرى على قلبـــه ذكـــرى يصـــدعـــه
لأصـــبـــرنَّ لدهـــــــر لا يمتـــعـــنـــي
بـــه ، ولا بـــيَ في حـــال يمتــــعــــه
علمـــاً بأن اصطبـــاري مـــعـــقبُ فـــرجـــاً
فـــأضـــيـق الأمـــر إن فكـــرت أوســـعــه
عـــسى الليـــالي التي أضنت بفـــرقـــتنا
جـــسمي ، ســتـجـمـعـني يومـــاً وتجـمـعـه
وإنْ تـغـل أحـــــــداً مـنَّا منـيَّتــــــه
فـمـــا الذي بقـــضـــاء الله يصنعـــه ؟

من الكتب الواردة حديثاً لدار الجوف للعلوم

اعداد : قسم التزويد بالدار

استمرارا لخطة الجوبة في الاهتمام بتعريف القاريء الكريم ببعض الكتب التي وردت حديثا الى دار الجوف للعلوم ، يسرنا أن نستعرض بإيجاز الكتب التالية :

النقد والنقاد المعاصرون / الدكتور محمد مندور ـ بيروت : دار القلم ، د. ت ١٨٤ ص .

اشتمل الكتاب على مقدمة قصيرة ومجموعة من الأبحاث اختص المؤلف كل واحد منها بناقد من نقادنا العرب المحدثين بدءا بالشيخ حسين المرصفي وكتابه « الوسيلة الأدبية للعلوم العربية » ثم ميخائيل نعيمة وكتابه « الغربال » المتضمن لمجموعة من المقالات النقدية ، وعبدالرحمن شكري وعباس محمود العقاد وابراهيم عبدالقادر المازني ومذاهبهم في النقد ، ثم لويس عوض ويحيى حقي ، ويختم الكتاب ببيان المنهج الأيديولوجي في النقد فيقول أن النقد هو فن تمييز الأساليب .

واستعرض المؤلف الحركة النقدية منذ أرسطو ونظريته حول وحدة الفنون التى سادت خلال العصر القديم والوسيط وحتى عصر النهضة مروراً بالمذهب الكلاسيكي الذي ساد في القرن السابع عشر ثم الرومانسي في القرن التاسع عشر فالتأثري ، والمجادلات الحامية في مطلع القرن العشرين حول التأثرية والموضوعية والمفاضلة بينهما ، وظهور الفلسفات الاشتراكية والوجودية ونشوء مذهب نقدي جديد عنهما أسماه المؤلف المنهج الايديولوجي ، تحدث عنه باسهاب وحدد وظائفه في ثلاث مهام هي تفسير الأعمال الأدبية والفنية ، وتقييم العمل الأدبي والفني في مستوياته المختلفة ، وأخيراً توجيه الأدباء والفنانين في غير تعسف

ولا املاء ولكن في حدود التبصير بقيم العصر وحاجات البشر ومطالبهم .

من فصحاء العرب / الفريق يحيى عبدالله المعلمي - الرياض : دار المعلمي للنشر ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م . ٩٠ ص .

الكتاب كما ورد بمقدمته عبارة عن أحاديث عن عدد من فصحاء العرب وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ وخلفاؤه الراشدون وصحابته الكرام ، مع ترجمة للفصحاء الذين قدم مختارات من أحاديثهم .

وقد تضمن الكتاب مقدمة قصيرة ثم تحدث عن واحد وعشرين من الفصحاء منهم ثلاثة عشر من الرجال وثمانية نساء ، وهم حسب ترتيب الكتاب : محمد رسول الله ﷺ ، أبو بكر الصديق ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، على بن أبى طالب ، عائشة بنت أبى بكر ، أم حبيبه ، أسماء بنت زيد ، عمرو بن الأهتم ، الطفيل بن عمرو ، سلمان الفارسي ، جعفر بن أبي طالب ، أم سلمه ، أم معبد ، كعب بن مالك الأنصاري قس بن ساعدة الايادي ، الخنساء ، رقيقة بنت أبي صيفي ، قيس بن عاصم المنقري ، خولة بنت ثعلبة ، هند بن أبي هالة .

المؤلفات النادرة عن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية : نماذج مختارة / الدكتور فهد عبدالله السماري ، والدكتور عبدالله بن ابراهيم العسكر ، والدكتور عبداللطيف الحميد - الرياض : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، ١٤١٦هـ ٢٠٦ ص .

الكتاب من اصدار مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، وهو اصدر خاص يضم مؤلفات نادرة انتخبت من مقتنيات معرض المؤلفات النادرة عن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية الذي أقامته المكتبة .

وقد عمد المؤلفون الى تبنى ما يسمى بالندرة المحلية كمقياس زمني نوعي لما اختاروه في اصدارهم .

ويشتمل الكتاب على تقديم الناشر ثم مقدمة المؤلفين وثلاثة أقسام ، عرض القسم الأول الذى أعده الدكتور فهد عبدالله السماري لأهم المؤلفات عن تاريخ المملكة العربية السعودية والملك عبدالعزيز ، ويشمل التدوين التاريخي للدولة السعودية والجزيرة العربية ، وكذلك شخصية الملك عبدالعزيز وحياته وسياسته وأعماله الكبيرة المتعددة . أما القسم الثاني فقد أعده الدكتور عبدالله بن ابراهيم العسكر وتطرق لنوعين من المؤلفات النادرة أولهما كتب الرحلات وتشمل أغلب ما كتبه الرحالة العرب المسلمين والغربيون عن الجزيرة العربية عموما والمملكة بشكل خاص .

وثانيهما الكتب التي تتعرض للحرمين الشريفين وعن الحج ومناسكه وعن العمرة ، والكتب التي ألفت بقصد تسجيل المظاهر الدينية والعمرانية والعلمية والاجتماعية أو التراجم أو التاريخ السياسي للحجاز ومدنه المقدسة وكذلك اصدارات ونشرات وارشادات توعية الحجاج . وأعد القسم الثالث الدكتور عبداللطيف بن محمد الحميد الذي تحدث فيه عن كتب الدعوة السلفية التي أصبحت ظاهرة تستدعي الانتباه منذ وصول الشيخ محمد بن عبدالوهاب الي الدرعية عام ١١٥٧هـ .

العمل مع أولياء أمور الأطفال المعوقين / ترجمة الدكتور عبدالله محمد الوابلي، والدكتور طارش مسلم الشمري - الرياض : مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة ، ١٤١٦هـ ١١٢ص.

الكتاب من تأليف جويس ايفانز وترجمة الدكتور عبدالله الوابلي والدكتور طارش مسلم الشمرى .

يتألف الكتاب من أربعة فصول ، اضافة الى مقدمة المترجمين ومقدمة المؤلف والملاحق ويعتبر أساسا للعمل المشترك بين أولياء الأمور ومعلمى الأطفال المعاقين . والكتاب يستعرض تلك الأساليب والمهارات اللازمة التى ينبغي للمعلمين والمختصين التزود بها لمد يد

العون للأسرة بهدف تعزيز أسلوب العمل المشترك نحو تحقيق الأهداف المرجوة لكلا الطرفين والمتمحورة حول رعاية الطفل المعاق .

وتناول الفصل الأول موضوع ادراك الكيفية التي يشعر بها أولياء الأمور وضرورة التفكير بعناية في هذا الأمر لكون كل ولي أمر يتمتع بخاصية قائمة بذاتها وهو عضو في المجتمع ويتفق مع أعضاء المجتمع الآخرين على هدف مشترك لمعاونة الطفل ليتعلم بأقصى درجة ممكنة . ويركز هذا الجزء على أهمية معرفة بعض المشاعر وردود الفعل لدى أولياء الأمور ليمكن مقابلتها ، ثم يستعرض عددا من المواقف الخاصة الممكنة الحدوث واقتراح الحلول الممكنة لها . أما الفصل الثاني وهو بعنوان التعرف على مشاعرك الخاصة فهو يسعى لمساعدة المعلم ليكون أكثر وعيا بمشاعره حول الحديث الى أولياء الأمور .

ويتطرق الفصل الثالث الى مقابلة أولياء الأمور ـ الاعداد للمقابلة ـ اجراءات المقابلة ـ النصائح التي يطلبها أولياء الأمور فيما يخص الطفل وكيفية التعامل معه وكذلك في أمور أخرى لا علاقة لها بالمدرسة . وخصص الفصل الرابع لمتابعة المقابلة بهدف مساعدة المعلم في الاعداد للزيارة الصفية لأولياء الأمور واعطائهم ارشادات لمساعدتهم في العمل مع الطفل في المنزل ، وكذلك دعوتهم لزيارة الطفل في غرفته ومساعدته لكي يدرس طفله ثم متابعة المقابلات والتطبيقات لبناء علاقات مع ولي الأمر . وألحق بالكتاب أربعة ملاحق هي مصادر المعلومات ، والجمعيات العلمية ، وقائمة مؤلفات تشمل أنشطة ومعلومات وروايات شخصية وقراءات مقترحة في الاعاقة ثم توصيات المقابلة ونماذجها ، ومقابلة ولي الأمر ـ المدرس ونماذجها .